عـود حمـيـد إلى القـرآن المـجـيـد

التوحيد

العدد ٦٣٣ السنة الثالثة والخمسون رمضان ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

مجلة إسلامية ثقافية شهرية تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

العدد ٦٣٣ السنة الثالثة والخمسون - رمضان ١٤٤٥ هـ

الثمن ١٠ جنيهات

عدد ركعات صلاة التراويح

رمضان
١٤٤٥هـ

رمضان شهر الجود

من أخطاء بعض الصائمين وعلاجها

المقاصد التشريعية لصوم شهر رمضان

وإذا سألك عبادي عني فإني قريب

بسم الله الرحمن الرحيم

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ

رئيس مجلس الإدارة
والمشرف العام
على مجلة التوحيد
فضيلة الشيخ

أحمد يوسف عبد المجيد

رئيس التحرير التنفيذي:

حسين عطا القراط

الاشتراك السنوي

١- في الداخل ٢٠٠ جنيه توضع في حساب المجلة رقم/ ١٩١٥٩٠ ببنك فيصل الإسلامي مع إرسال قسيمة الإيداع على فاكس المجلة رقم/ ٠٢٢٣٩٣٠٦٦٢.
٢- في الخارج ٨٠ دولارًا أو ٤٠٠ ريال سعودى أو ما يعادلهما

السلام عليكم

بشرى لمن أدرك شهر رمضان

عَنْ طَلْحَةَ بْنِ عُبَيْدِ اللَّهِ: أَنَّ رَجُلَيْنِ مِنْ بَلِيٍّ، قَدِمَا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ إِسْلَامُهُمَا جَمِيعًا، وَكَانَ أَحَدُهُمَا أَشَدَّ اجْتِهَادًا مِنَ الْآخَرِ، فَغَزَا الْمُجْتَهِدُ مِنْهُمَا فَاسْتُشْهِدَ، ثُمَّ مَكَثَ الْآخَرُ بَعْدَهُ سَنَةً، ثُمَّ تُوُفِّيَ.

قَالَ طَلْحَةُ: فَرَأَيْتُ فِي الْمَنَامِ: بَيْنَا أَنَا عِنْدَ بَابِ الْجَنَّةِ، إِذَا أَنَا بِهِمَا، فَخَرَجَ خَارِجٌ مِنَ الْجَنَّةِ فَأَذِنَ لِلَّذِي تُوُفِّيَ الْآخِرَ مِنْهُمَا، ثُمَّ خَرَجَ فَأَذِنَ لِلَّذِي اسْتُشْهِدَ، ثُمَّ رَجَعَ إِلَيَّ.

فَقَالَ: ارْجِعْ، فَإِنَّكَ لَمْ يَأْنِ لَكَ بَعْدُ. فَأَصْبَحَ طَلْحَةُ يُحَدِّثُ النَّاسَ، فَعَجِبُوا لِذَلِكَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَحَدَّثُوهُ الْحَدِيثَ. فَقَالَ: «مِنْ أَيِّ ذَلِكَ تَعْجَبُونَ؟». قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذَا كَانَ أَشَدَّ الرَّجُلَيْنِ اجْتِهَادًا، ثُمَّ اسْتُشْهِدَ، وَدَخَلَ هَذَا الْآخِرُ الْجَنَّةَ قَبْلَهُ!

فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَلَيْسَ قَدْ مَكَثَ هَذَا بَعْدَهُ سَنَةً؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ: «وَأَدْرَكَ رَمَضَانَ فَصَامَ، وَصَلَّى كَذَا وَكَذَا مِنْ سَجْدَةٍ فِي السَّنَةِ؟». قَالُوا: بَلَى. قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَمَا بَيْنَهُمَا أَبْعَدُ مِمَّا بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ». أخرجه أحمد في المسند (١٤٠٣)، وصححه الألباني.

وهذا الحديث فيه بشرى لمن أدرك شهر رمضان فصام نهاره وقام ليله وتهجد إلى ربه سبحانه ودعاه، فشهر رمضان هو شهر الخير والبركة، هو شهر المغفرة والرحمة، هو شهر تفتح فيه أبواب الجنان، وتغلق فيه أبواب النيران، وتسلسل فيه مردة الشياطين، وهو شهر فيه ليلة هي خير من ألف شهر، وهو شهر يضاعف الله تعالى فيه الأجر والثواب للمؤمنين العاملين التائبين لربهم سبحانه وتعالى.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم في الحديث هذه الفضيلة لمن مات متأخرا عن صاحبه، وقد مات صاحبه في ساحة القتال، إلا أنه أدخله الله الجنة قبله وذلك لأنه أدرك شهر رمضان، فهنيئًا لعبد اغتنم هذا الشهر المبارك من زيادة في الأعمال والقربات، وتاب إلى الله وأناب، عسى الله أن يعتقه من النيران.

التحرير

نقدم للقارئ الكريم كرتونة كاملة تحوي ٤٩ مجلدًا
من مجلدات مجلة التوحيد عن ٤٩ سنة كاملة

فهرس العدد

افتتاحية العدد: رمضان شهر الجود
الشيخ أحمد يوسف عبد المجيد ٢
باب التفسير: سورة لقمان
د. عبد العظيم بدوي ٥
مصطلحات علم العقيدة د. عبد الله شاكر ٨
عودٌ حميد إلى القرآن المجيد د. محمد حامد ١٣
فضل الصوم د. جمال المراكبي ١٧
تذكير الأنام بتاريخ مشروعية الصيام
د. سيد عبد العال ٢١
رمضان شهر مواساة المحتاجين
الشيخ صلاح نجيب الدق ٢٤
عدد ركعات صلاة التراويح د. أيمن خليل ٢٨
واذا سألك عبادي عني فإني قريب
الشيخ صلاح عبد الخالق ٣٣
واحة التوحيد د. علاء خضر ٣٦
من أخطاء بعض الصائمين وعلاجها
د. عبد القادر فاروق ٣٨
خُلق الكرم والجود
م. محمد ياسين بدر حسين النجار ٤١
الغارة على رمضان د. أحمد سليمان ٤٣
المقاصد التشريعية لصوم شهر رمضان
د. محمد عبد العزيز ٤٦
التفريط في المنح الربانية في رمضان
أ. عبد العزيز مصطفى الشامي ٥٠
تصفيد الشياطين في رمضان الشيخ علي حشيش ٥٣
فتاوى الصيام إعداد: اللجنة العلمية ٥٧
ضوابط الهبة والهدية للأبناء الشيخ عادل شوشة ٦١
دروس من الصيام الشيخ إبراهيم حافظ رزق ٦٤
أعمال البر في رمضان الشيخ عبده أحمد الأقرع ٦٦
السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم
د. عبد الرحمن فودة ٧٠

جمعية أنصار السنة المحمدية

صاحبة الامتياز
جمعية أنصار السنة المحمدية

رئيس التحرير:
مصطفى خليل أبو المعاطي

الإخراج الصحفي:
أحمد رجب محمد
محمد محمود فتحي

ثمن النسخة
مصر ١٠ جنيهات ، السعودية ١٢ ريال ، الإمارات ١٢ دراهم ، الكويت ١ دينار ، المغرب ٢ دولار أمريكي ، الأردن ١ دينار ، قطر١٢ ريال ، عمان ١ريال عماني ، أمريكا ٤ دولار، أوروبا ٤ يورو

إدارة التحرير
٨ شارع قولة عابدين - القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
البريد الإلكتروني
MGTAWHEED@HOTMAIL.COM

١٠٠٠ جنيهاً ثمن الكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات
داخل مصر و٣٠٠ دولاراً خارج مصر شاملة سعر الشحن

منفذ البيع الوحيد
بمقر مجلة التوحيد
الدور السابع

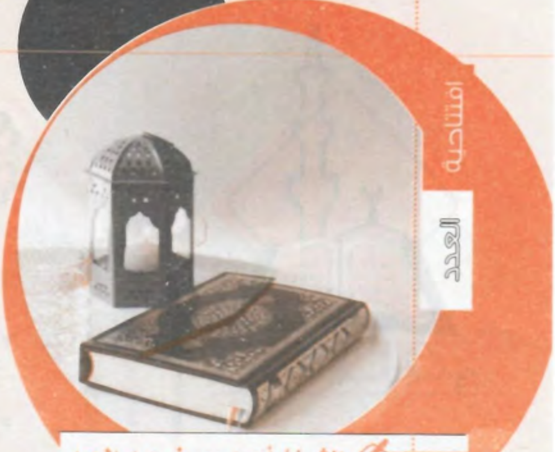

اعداد **الشيخ/ أحمد يوسف عبد المجيد**

الرئيس العام

رمضان
شهر الجود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله.

وبعدُ:

فإن الله تعالى فضل بعض الأزمنة على غيرها قال تعالى: «وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ» (القصص: ٦٨).

ولا خلاف أن شهر رمضان من الأزمنة الفاضلة حيث نزل فيه القرآن الكريم وتميز على غيره من الشهور بليلة القدر وبكونه شهر التقوى والجهاد والصبر ومما عرف به الشهر أنه شهر الجود حيث كان يزداد فيه جود النبي صلى الله عليه وسلم. كما في الصحيحين من حديث عبد الله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة.

قال ابن حجر رحمه الله: معنى أجود الناس أكثرهم جودًا وعرف الجود بأنه الكرم وهو من الصفات المحمودة. وقال: الجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وهو أعم من الصدقة وأيضا رمضان موسم الخيرات لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره. فكان رسول الله يؤثر متابعة سنة الله في عباده. وفي لسان العرب: الجود السخاء يقال جادت العين إذا كثر دمعها. وفي المعجم الوسيط: الجود صفة تحمل صاحبها على بذل ما ينبغي منه بغير عوض.

وقد ذكر النووي أن من فوائد الحديث: الحث على الجود في كل وقت. ومنها الزيادة في رمضان وعند الاجتماع بأهل الصلاح. ولا شك أن الجود إذا ذكر تبادر إلى الذهن أنه متعلق بالنفقة وقد تحقق ذلك في حياته صلى الله عليه وسلم فكان أجود الناس كما في صحيح مسلم من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: أن رجلاً سأل النبي صلى الله عليه وسلم غنمًا بين جبلين فأعطاه إياه، فأتى قومه فقال: أي قوم أسلموا فوالله إن محمدًا ليعطي عطاءً من لا يخاف الفقر(مسلم(٢٨١٢)).

قال أنس: إن كان الرجل ليسلم ما يريد إلا لدنيا. فما يسلم حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها. ألا فلتكن أسوتنا الحسنة في الجود هي أجود الناس صلى الله عليه وسلم حيث رغب في ذلك بقوله عليه الصلاة والسلام كما في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقًا خلفًا، ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفًا»(البخاري(١٤٤٢)، مسلم(١٠١٠)). وقد تأسى الصحابة رضوان الله عليهم بجوده صلى الله عليه وسلم حتى مدح الله جودهم في قوله تعالى: «وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ» (الحشر: ٩).

> **«كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود ما يكون في رمضان.»**

فمن لا يعرف جود الصديق بإنفاق كل ماله وجود الفاروق في جوده بنصف ماله إنهم الصحابة الذين سابقوا بالخيرات ومنهم أبو طلحة رضي الله عنه الذي تخلق بأخلاق القرآن الكريم فعندما نزل قوله تعالى: «لَن تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ» (آل عمران: ٩٢). قال: يا رسول الله، إن أحب أموالي إلي بيرحاء وأنها صدقة لله أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث شئت فقال: «بخ ذلك مال رابح قبلناه منك ورددناه عليك فاجعله في الأقربين»، فتصدق به أبو طلحة على ذوي رحمه. (رواه البخاري(١٤٦١)).

فما أحوجنا إلى التخلق بخلق الجود في شهر الصيام فإن من مظاهر الجود صلة الأرحام بالنفقة والإطعام وما يحتاجونه. ومن مظاهر الجود في شهر الجود إطعام الطعام، وانظار المعسرين فليكن لنا في كل ليلة من ليالي رمضان ما ندخره عند الله تعالى من مدارسة القرآن الكريم والجود بكل ما يمكن أن نجود به. وليس الجود قاصرًا على نفقة المال والجود بإعطائه بل هو أعم من ذلك فالجواد يجود بما عنده من مال وجاه وعلم بل يبلغ أعلى مراتب الجود فيجود

بنفسه في سبيل الله تعالى.

ورحم الله ابن قيم الجوزية فقد عقد فصلا في كتابه مدارج السالكين تحت عنوان فصل الإيثار، أدرج تحته الحديث عن الجود، وكأنه يشير إلى أن الجود درجة من درجات الإيثار ترقى بالعبد لأن يقدم غيره على نفسه بالرغم من حاجته والجود ضد الشح. ويكفي الجود فضلًا أنه يرقى بصاحبه إلى درجة الفلاح «وَمَن يُوقَ شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون» (الحشر: ٩)، وأشار ابن القيم إلى أن الجود ليس قاصرًا على بذل المال وحده بل هو مراتب عشرة منها: الجود براحته ورفاهيته واحجام النفس فيجود بها نصبًا وكدًا في مصلحة غيره، ومن هذا الجود جود الإنسان بنومه.

ومن هذه المراتب: الجود بالعلم وبذله وهو من أعلى مراتب الجود. والجود به أفضل من الجود بالمال لأن العلم أشرف من المال. فسبحان من يجود على عباده بفضله ورحمته فيعطي كلا حسب استطاعته فهذا وسع الله عليه فيجود بالمال وآخر قدر عليه رزقه وزاده بسطة في العلم والجسم فيجود براحته ساهرًا في قضاء حوائج الناس على يقين بالأخوة الحقيقة للإسلام كما في حديث الصحيحين، من حديث عبد الله بن عمر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه، ومن كان في حاجة أخيه كان الله في حاجته» (البخاري(٢٤٤٢)، مسلم(٢٥٨٠)). فيجود بوقته ونومه مؤثرًا راحة الآخرين محتسبًا ذلك عند الله تعالى.

وفي شهر رمضان كان يزداد جود النبي صلى الله عليه وسلم عند مدارسة القرآن والتي كانت كل ليلة. وهذه دعوة للجود بالعلم وأشرف العلوم كتاب الله تعالى فها هم قراء القرآن يجودون بقلة طعامهم ليقفوا لإسماع الناس كتاب الله تعالى في صلاة العشاء والقيام.

ويزداد جودهم وهم يقومون يصلون بالناس في قيام الليل. ويعلمون كتاب الله تعالى وهذا يصل بهم إلى أرقى الدرجات كما في الصحيح من حديث عثمان رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «خيركم من تعلم القرآن وعلمه».

كما أن جود النبي صلى الله عليه وسلم وزيادته في رمضان دعوة للدعاة إلى الله تعالى ليزدادوا جودًا في بذل العلم وتصحيح المفاهيم.

واستثمار دخول الكثير من الناس إلى المساجد في شهر رمضان فيعلمونهم أمور دينهم، وفي مقدمة العلوم علم التوحيد الذي هو من أشرف العلوم إن لم يكن أشرفها لقوله تعالى: «فاعلم أنه لا إله إلا الله» (محمد: ١٩). وقد فهم ذلك الكثير من أهل العلم فآثروا البقاء في بلادهم لتعليم الناس في شهر رمضان على قضاء شهر رمضان في بيت الله الحرام. فجزاهم الله خيرًا.

فالعلم أشرف من المال والجود به أفضل من الجود بالمال وحاجة الناس إلى العلم في زمن كثرت فيه الشواغل وانصرف الكثير إلى وسائل التواصل التي ضيعت الأوقات عند كثير من الناس وقطعتهم عن صلة الأرحام وفعل الخيرات. فصار الناس في أمس الحاجة لدعاة يدعون الناس للرجوع إلى الله تبارك وتعالى ويعلمونهم حسن التوكل عليه ويزرعون فيهم الثقة في أن الله هو الرزاق ذو القوة المتين وأن الأمور تجري بقدره سبحانه: «ألا يعلم من خلق وهو اللطيف الخبير»، وأن العبد ليس عليه إلا أن يأخذ بالأسباب متوكلا على الله تعالى رزقنا الله الجود بكل صوره وأثابنا عليه خير الجزاء.

والحمد لله رب العالمين.

> “ يكفي الجود فضلا أنه يرقى بصاحبه إلى درجة الفلاح «وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ» (الحشر: ٩) ”

باب التفسير

الحلقة التاسعة

سُورَة لُقْمَان

سُورَة لُقْمَان

سورة لقمان

قال الله تعالى: « أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ ﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ » (لقمان: ٣١- ٣٣).

إعداد **د. عبد العظيم بدوي**

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله. وبعد:

فمن دلائل التوحيد: السفن:

ثم ذكر من عجيب صنعه، وبديع قدرته، وغاية حكمته، وشمول إنعامه، نوعا آخر فقال: « ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله » وفضله ورحمته، ولولا نعمة الله ما جرت فلك في بحر، كما قال تعالى: « وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلْجَوَارِ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٣٢﴾ إِن يَشَأْ يُسْكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ أَوْ يُوبِقْهُنَّ بِمَا كَسَبُوا۟ وَيَعْفُ عَن كَثِيرٍ ﴿٣٤﴾ وَيَعْلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ » (الشورى:٣٢-٣٥).

« ليريكم من آياته » ما تستدلون به على ألوهيته، واستحقاقه للعبادة دون ما تعبدون من دونه، « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ٣١ » وهو المؤمن، كما في الحديث عن صهيب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « عجبا لأمر المؤمن! إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له »(صحيح مسلم ٢٩٩٩). فقوله تعالى: « إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور ٣١ » يعدل: « إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ » (الحجر:٧٧)، وإنما خصهم لأنهم هم الذين ينتفعون بما يرون، وإلا فإن جريان الفلك في البحر آية لكل الناس، ولذلك قال تعالى: « وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿٤١﴾ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ ﴿٤٢﴾ وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ » (يس:٤١-٤٤).

حال المشركين في البحر:

ثم ذكر سبحانه حال المشركين في البحر إذا هاج موجه وخافوا الغرق، وحالهم بعد النجاة، فقال تعالى: «وإذا غشيهم موج كالظلل دعوا الله مخلصين له الدين» أي دعوا الله وحده، ولم يدعوا غيره ممن كانوا يدعونهم في البر، وعاهدوه أن يكونوا له شاكرين إذا نجاهم من هول البحر، كما قال تعالى: « هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ » (يونس:٢٢).

«فلما نجاهم إلى البر فمنهم مقتصد» أي ومنهم كافر، ويدل على هذا المحذوف قوله: «وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ٣٢». قال صديق حسن خان: «والمعنى: فلما نجاهم إلى البر صاروا على قسمين: فقسم مقتصد، أي: موف بما عاهد الله عليه في البحر من إخلاص الدين له، باق على ذلك بعد أن نجاه الله من هول البحر، وأخرجه إلى البر سالما، ولكنه مقتصد، غير مبالغ في الشكر. وأكثرهم نسوا ما كانوا يدعون إليه من قبل، ورجعوا إلى عبادة ما لا يملك لهم ضرا ولا نفعا، وإليهم الإشارة بقوله تعالى: «وما يجحد بآياتنا إلا كل ختار كفور ٣٢» قال الجوهري رحمه الله: الختر: الغدر، يقال ختره فهو ختار. وقال ابن عطية رحمه الله: إنه الجاحد، وجحد الآيات: إنكارها، والكفور: عظيم الكفر بنعم الله سبحانه (فتح البيان:٣٠١/١٠)وقول الجوهري الصحاح (خ ت ر).

وهاتان الآيتان كقوله تعالى في العنكبوت: « فَإِذَا رَكِبُوا۟ فِى ٱلْفُلْكِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا۟ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا۟ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ » (العنكبوت:٦٥-٦٦)، وكقوله تعالى في يونس: « هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنْ أَنجَيْتَنَا مِنْ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴿٢٢﴾ فَلَمَّآ أَنجَىٰهُمْ إِذَا هُمْ يَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّمَا بَغْيُكُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُم مَّتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » (يونس:٢٢-٢٣).

وصية الله للناس:

«يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوما لا يجزي والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ٣٣»:

قال الرازي: لما ذكر سبحانه دلائل التوحيد والبعث من أول السورة إلى آخرها وعظ بالتقوى، لأنه تعالى لما كان واحدا أوجب التقوى البالغة، فإن من يعلم أن الأمر بيد اثنين لا يخاف أحدهما مثل ما يخاف لو كان الأمر بيد أحدهما لا غير. ثم أكد الخوف بذكر اليوم الذي يحكم الله فيه بين العباد، وذلك لأن الملك إذا كان واحدا ويعهد منه أنه لا يعلم شيئا ولا يستعرض عباده، لا يخاف منه مثل ما يخاف إذا علم أن له يوم استعراض واستكشاف. ثم أكده بقوله: «لا يجزي والد عن ولده»، وذلك لأن المجرم إذا علم أن له عند الملك من يتكلم في حقه، ويقضي ما يخرج عليه برفد من كسبه، لا يخاف مثل ما يخاف إذا علم أنه ليس له من يقضي عنه ما يخرج عليه. ثم ذكر شخصين في غاية الشفقة والمحبة، وهما الوالد والولد، ليستدل بالأدنى على الأعلى، وذكر الولد والوالد جميعا فيه لطيفة، وهي أن من الأمور ما يبادر الأب إلى التحمل عن الولد، كدفع المال، وتحمل الآلام، والولد لا يبادر إلى تحمله عن الوالد مثل ما يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد، ومنها ما يبادر الولد إلى تحمله عن الوالد ولا يبادر الوالد إلى تحمله عن الولد كالإهانة، فإن من يريد إحضار والد أحد عند وال أو قاض يهون على الابن أن يدفع الإهانة عن والده ويحضر هو بدله، فإذا انتهى الأمر إلى الإيلام يهون على الأب أن يدفع الإيلام عن ابنه ويتحمله هو بنفسه، فقوله: «لا يجزي والد عن ولده» في دفع الآلام، «ولا مولود هو جاز عن والده شيئا» في دفع الإهانة (التفسير الكبير ١٦٤/٢٥).

لطيفة:

أتى الله تعالى بالجملة الفعلية مع الوالد، فقال: «لا يجزي والد عن ولده»، وأتى بالجملة الاسمية مع الولد، فقال: «ولا مولود هو جاز عن

والده شيئا» لأنه إذا كان الوالد لا يجزي عن ولده، مع ما هو معروف عن الوالد من الرحمة والشفقة والحرص على سلامة الولد، حتى إنه ليفديه بنفسه وماله، كان الولد أولى أن لا يجزي عن أبيه.

ثم قال تعالى: «إن وعد الله حق» والمراد به البعث، والحساب، والجزاء، والجنة، والنار، قال تعالى: «ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ لَيَجۡمَعَنَّكُمۡ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا رَيۡبَ فِيهِ وَمَنۡ أَصۡدَقُ مِنَ ٱللَّهِ حَدِيثٗا» (النساء:٨٧)، وأقسم على ذلك فقال: «وَٱلذَّٰرِيَٰتِ ذَرۡوٗا (١) فَٱلۡحَٰمِلَٰتِ وِقۡرٗا (٢) فَٱلۡجَٰرِيَٰتِ يُسۡرٗا (٣) فَٱلۡمُقَسِّمَٰتِ أَمۡرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٞ (٥) وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٞ» (الذاريات:١-٦).

فإذا علمتم ذلك: «فلا تغرنكم الحياة الدنيا» فترضوا بها، وتطمئنوا بها، وتظنوا أنكم إلينا لا ترجعون، كما اغتر صاحب الجنتين، الذي ضربه الله مثلا للعالمين، قال تعالى: «وَٱضۡرِبۡ لَهُم مَّثَلٗا رَّجُلَيۡنِ جَعَلۡنَا لِأَحَدِهِمَا جَنَّتَيۡنِ مِنۡ أَعۡنَٰبٖ وَحَفَفۡنَٰهُمَا بِنَخۡلٖ وَجَعَلۡنَا بَيۡنَهُمَا زَرۡعٗا (٣٢) كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا وَفَجَّرۡنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرٗا (٣٣) وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٞ فَقَالَ لِصَٰحِبِهِۦ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ أَنَا۠ أَكۡثَرُ مِنكَ مَالٗا وَأَعَزُّ نَفَرٗا (٣٤) وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا» (الكهف:٣٢-٣٦)، وكانت النتيجة: «وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا (٤٢) وَلَمۡ تَكُن لَّهُۥ فِئَةٞ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مُنتَصِرًا» (الكهف:٤٢-٤٣).

«فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور ٣٣» وهو الشيطان، «إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ» (يس: ٦٠)، وعداوته ظاهرة منذ أبى أن يسجد لأبيكم، وقد أقسم بالله ليضلنكم، قال تعالى: «قَالَ فَبِمَآ أَغۡوَيۡتَنِي لَأَقۡعُدَنَّ لَهُمۡ صِرَٰطَكَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ (١٦) ثُمَّ لَأٓتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ» (الأعراف:١٦-١٧).

وقال تعالى: «إِن يَدۡعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثٗا وَإِن يَدۡعُونَ إِلَّا شَيۡطَٰنٗا مَّرِيدٗا (١١٧) لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَقَالَ لَأَتَّخِذَنَّ مِنۡ عِبَادِكَ نَصِيبٗا مَّفۡرُوضٗا (١١٨) وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمۡ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلۡأَنۡعَٰمِ وَلَأٓمُرَنَّهُمۡ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلۡقَ ٱللَّهِ وَمَن يَتَّخِذِ ٱلشَّيۡطَٰنَ وَلِيّٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ فَقَدۡ خَسِرَ خُسۡرَانٗا مُّبِينٗا (١١٩) يَعِدُهُمۡ وَيُمَنِّيهِمۡ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا» (النساء:١١٧-١٢٠).

قال ابن عرفة رحمه الله: الغرور ما رأيت له ظاهرا تحبه، وفيه باطن مكروه أو مجهول. والشيطان غرور، لأنه يحمل على محاب النفس، ووراء ذلك ما يسوء (الجامع لأحكام القرآن ٤/٣٠٢).

فمن غروره-لعنه الله- أنه يضل الإنسان عن صراط الله المستقيم، ثم يزين له سوء عمله فيراه حسنا، ويمنيه عليه ثواب المحسنين، كما قال تعالى: «إِنَّهُمُ ٱتَّخَذُواْ ٱلشَّيَٰطِينَ أَوۡلِيَآءَ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَيَحۡسَبُونَ أَنَّهُم مُّهۡتَدُونَ» (الأعراف:٣٠)، وقال تعالى عن صاحب الجنتين: «وَدَخَلَ جَنَّتَهُۥ وَهُوَ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ قَالَ مَآ أَظُنُّ أَن تَبِيدَ هَٰذِهِۦٓ أَبَدٗا (٣٥) وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةٗ وَلَئِن رُّدِدتُّ إِلَىٰ رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهَا مُنقَلَبٗا» (الكهف:٣٥-٣٦)، وقال تعالى عن اليهود والنصارى: «وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ» (البقرة:١١١)، فإذا كان يوم القيامة: «وَرَءَا ٱلۡمُجۡرِمُونَ ٱلنَّارَ فَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مُّوَاقِعُوهَا وَلَمۡ يَجِدُواْ عَنۡهَا مَصۡرِفٗا» (الكهف: ٥٣)، فيومئذ: «يُبَصَّرُونَهُمۡ يَوَدُّ ٱلۡمُجۡرِمُ لَوۡ يَفۡتَدِي مِنۡ عَذَابِ يَوۡمِئِذِۭ بِبَنِيهِ (١١) وَصَٰحِبَتِهِۦ وَأَخِيهِ (١٢) وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِي تُـٔۡوِيهِ (١٣) وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا ثُمَّ يُنجِيهِ» (المعارج:١١-١٤)، فيقال لهم: «فَٱلۡيَوۡمَ لَا يُؤۡخَذُ مِنكُمۡ فِدۡيَةٞ وَلَا مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مَأۡوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ هِيَ مَوۡلَىٰكُمۡ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ» (الحديد: ١٥)، وكأنهم تساءلوا لماذا؟ فأجيبوا: «وَلَٰكِنَّكُمۡ فَتَنتُمۡ أَنفُسَكُمۡ وَتَرَبَّصۡتُمۡ وَٱرۡتَبۡتُمۡ وَغَرَّتۡكُمُ ٱلۡأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَآءَ أَمۡرُ ٱللَّهِ وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلۡغَرُورُ» (الحديد: ١٤)، «فَكُبۡكِبُواْ فِيهَا هُمۡ وَٱلۡغَاوُۥنَ (٩٤) وَجُنُودُ إِبۡلِيسَ أَجۡمَعُونَ» (الشعراء:٩٤-٩٥).

وقام إبليس فيهم خطيبا، يسمعهم ما يزيدهم حسرة فوق حسرتهم، وعذابا فوق عذابهم، «وَقَالَ ٱلشَّيۡطَٰنُ لَمَّا قُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمۡ وَعۡدَ ٱلۡحَقِّ وَوَعَدتُّكُمۡ فَأَخۡلَفۡتُكُمۡ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيۡكُم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوۡتُكُمۡ فَٱسۡتَجَبۡتُمۡ لِي فَلَا تَلُومُونِي وَلُومُوٓاْ أَنفُسَكُم مَّآ أَنَا۠ بِمُصۡرِخِكُمۡ وَمَآ أَنتُم بِمُصۡرِخِيَّ إِنِّي كَفَرۡتُ بِمَآ أَشۡرَكۡتُمُونِ مِن قَبۡلُ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ» (ابراهيم: ٢٢).

وللحديث بقية إن شاء الله، والحمد لله رب العالمين.

مصطلحات علم العقيدة

إعداد د. عبد الله شاكر

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه ومن تبعهم بإحسان.

وبعد: فإن توحيد رب العالمين أصل الأصول في الدين، وعليه تُبنى الشريعة بكل جوانبها، ولذلك ما أرسل الله سبحانه وتعالى رسولاً إلا وبعثه بمدلوله، كما قال تعالى: «وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلَّا نُوحِيٓ إِلَيۡهِ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعۡبُدُونِ» **(الأنبياء:٢٥)، وهو حق الله الذي لا يكون لغيره، وأول دعوة الرسل أجمعين، كما قال رب العالمين:** «وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ» **(النحل:٣٦).**

قال الإمام الحافظ ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره: «فلم يزل تعالى يرسل الرسل بذلك منذ حدث الشرك في بني آدم، في قوم نوح الذين أرسل إليهم نوحًا، وكان أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض إلى أن ختمهم بمحمد صلى الله عليه وسلم الذي طبقت دعوته الإنس والجن في المشارق والمغارب، وكلهم كما قال الله تعالى: «**وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ**» (الزُّخرُف:٤٥)، وقد أمر الله - تبارك وتعالى - النبي صلى الله عليه وسلم أن يدعو أهل الكتاب إلى التوحيد، فقال تعالى: « **قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ ٦٤**» (آل عمران:٦٤). والآية قررت وحدانية الألوهية، والربوبية، وكلاهما متفق عليه بين الرسل.

ولأهمية إصلاح العقيدة، ولاعتقادي أن إصلاح العقيدة هو المنطلق الأول لكل إصلاح، أقوم بحول الله وقوته بتقديم مجموعة

من المقالات التي أتناول فيها بعض المسائل المهمة في علم العقيدة الإسلامية ليقف فيها القارئ الكريم على مكانة هذا العلم ومكانته، وشرفه وفضله، وأن أصحاب المنهج الصحيح في فهم العقيدة، هم الطائفة المنصورة، الظاهرة بالحق، القائمة به إلى يوم القيامة، وعلى الملامح العامة والصفات الأساسية التي تميز بها أهل السنة والجماعة، والتي خالفهم من سلك منهجًا مغايرًا لذلك، كالذين اعتمدوا على العقل في مواجهة النص، أو أولوا الآيات والأحاديث الصحيحة بما يتفق مع عقولهم، وهذا يستدعي أن أتحدث عن البدع والابتداع في الدين، وأدلة النهي عنها والتحذير منها، وسوء منقلب أهلها، والبدع في مجال العقائد، والفرق الداعية إليها، كالخوارج، والروافض، والجهمية، والمعتزلة، والجبرية، والمرجئة، والباطنية، وعلى وسطية أهل السنة بين هذه الفرق، وسلامة منهجهم الذي سلكوه، وتابعوا فيه الصدر الأول-رضوان الله عليهم أجمعين-. وأيضا على قواعد وضوابط الاستدلال على مسائل الاعتقاد عند أهل السنة والجماعة، وختمتها ببيان حقيقة انتساب الجماعات المعاصرة إلى أهل السنة والجماعة. ويسرني أن أقدم هذه المجموعة بما اشتملت عليه للأمة الإسلامية، للاستفادة منها، وهو نافع-إن شاء الله- لمن أراد التخصص في هذا العلم، أو دراسته. ولكن قبل الولوج في هذه المسائل المهمة، أتكلم أولاً عن مصطلحات هذا العلم مثل مصطلح: «العقيدة» و «التوحيد» و «أصول الدين» و «السنة».

تعريف كلمة: العقيدة:

أولا: العقيدة لغة:

مأخوذة من الفعل: عقد، يقال: «عقد قلبه على الشيء» أو «عقد قلبه الشيء» إذا لزمه.

ثانيا: العقيدة اصطلاحا:

تُطلق وتعرف بعدة تعريفات، منها:

(أ) التصديق الجازم فيما يجب لله عز وجل من الوحدانية والربوبية، والإفراد بالعبادة، والإيمان بأسمائه الحسنى، وصفاته العلى.

(ب) تصميم القلب والاعتقاد الجازم الذي لا يخالطه شك في المطالب الإلهية والنبوات، وأمور المعاد، وغيرها مما يجب الإيمان به. والمطالب الإلهية المقصود بها: الإيمان بالله في ربوبيته وألوهيته وأسمائه وصفاته.

(جـ) ما عقد الإنسان قلبه عليه، ودان لله رضي الله عنه به.

ومن المناسب أن نشير هنا إلى أن هذه الكلمة - العقيدة، أو الاعتقاد - أصبحت اسم علمًا على العلم الذي يدرس جوانب الإيمان والتوحيد - التي سبقت الإشارة إليها - ووجدنا كل من يكتب في هذا الجانب، يطلق على كتابه اسم العقيدة، فيقال مثلاً: عقيدة الطحاوي، أو العقائد العضدية... إلى آخره.

ثالثا: مؤلفات في العقيدة الإسلامية.

لا شك أن كل علم له رجاله الذين وضعوا فيه من المؤلفات والكتب الخاصة به. وفيما يلي أسماء بعض المؤلفات التي حملت اسم العقيدة الإسلامية، بدءًا بأقدمها وأسبقها.

الكتاب الأول: (شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة، وإجماع الصحابة، والتابعين من بعدهم) هذا الكتاب الكبير العظيم ألفه الإمام الحافظ هبة الله بن الحسن بن منصور اللالكائي، وقد يعرف أحيانًا هذا الكتاب بكتاب «السنن» أو «شرح السنة» أو «أصول السنة».

الكتاب الثاني: (عقيدة السلف وأصحاب الحديث) للإمام أبي عثمان إسماعيل الصابوني، وهو مطبوع ضمن مجموعة

(الرسائل المنيرية)

الكتاب الثالث: (الاعتقاد على مذهب السلف أهل السنة والجماعة) للإمام أبي بكر أحمد بن حسين البيهقي.

تعريف كلمة: «التوحيد»:

أولا: التوحيد لغةً: الإفراد.

ثانيا: التوحيد اصطلاحًا:

أصل معنى التوحيد: اعتقاد أن الله واحد لا شريك له، وسُمي هذا العلم بهذا الاسم تسمية له بأهم أجزائه، فهو من باب إطلاق الجزء وإرادة الكل، وهو إثبات الوحدة لله في الذات والفعل في خلقه الأكوان، وأنه وحده مرجع كل كون، ومنتهى كل قصد. وهذا المطلب في الحقيقة كان الغاية العظمى من بعثة النبي صلى الله عليه وسلم كما تشهد بذلك آيات القرآن الكريم.

ثالثا: دلالة كلمة التوحيد على العقيدة:

كلمة التوحيد - أي: شهادة أن لا إله إلا الله - تشير الى كل جوانب العقيدة ومسائلها؛ لأنه إذا حصل الإيمان بمضمونها على وجه صحيح، استتبع ذلك- قطعًا - الإيمان بسائر العقائد من إلهيات ونبوات وسمعيات؛ فإن الوحدانية تتضمن الاعتراف بالله وبأنه المعبود بحق، وهو اعتراف ضمني بأنه جامع لكل كمال، منزه عن كل نقص؛ إذ لا يستحق العبادة، وهي نهاية التعظيم وغاية المحبة والخشية، إلا من كان كذلك. وانما كانت العناية بذكر الوحدانية؛ لأنها كانت أهم مقاصد الرسل جميعًا لأنها هي وحدها العقيدة التي كفرها أكثر الناس، وهجروها، فهم يعرفون الله تعالى بقدرته وعلمه وارادته، وانه خالق السموات والأرض، هذا يعرفه كثير من الناس.

وأيضًا كثير من الناس مع إيمانهم بذلك، يتخذون لله الأنداد، ويشركون به، فيحبون أنداده كحبهم لله، ويخشونهم كخشيته، وربما زاد بعضهم في أن أحبّ معبوده الذي يعبده دون الله أكثر من محبته لله - تبارك وتعالى.

ونحن نشاهد أن بعضًا من الناس، يتوجه إلى غير الله بالدعاء، وطلب المدد، والاستغاثة، وغير ذلك.

رابعًا: مؤلفات في علم التوحيد:

هناك مؤلفات كُتبت في هذا العلم تحت مسمى علم التوحيد، نشير إلى بعضها:

الكتاب الأول: (كتاب التوحيد) لأبي العباس أحمد بن عمر بن سريج البغدادي.

الكتاب الثاني: (كتاب التوحيد واثبات صفات الرب التي وصف بها نفسه في تنزيله الذي أنزله على نبيه المصطفى صلى الله عليه وسلم وعلى لسان نبيه صلى الله عليه وسلم للإمام ابن خزيمة، وهو صاحب كتاب: (الصحيح).

الكتاب الثالث: (كتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله وصفاته على الاتفاق والتفرد) للإمام الحافظ أبي عبد الله محمد بن إسحاق بن منده (رحمه الله تبارك تعالى).

وهناك كتب أخرى كثيرة كتبها بعض المعاصرين عن التوحيد بأساليب متعددة، وبعضها أيضًا مفيد للغاية.

تعريف كلمة: «أصول الدين»:

أولا: أصول الدين لغةً:

أصول الدين: مركّب إضافي، ولا يمكن التوصل إلى معنى المركّب إلا بتحليل أجزائه المركّب منها

أما كلمة الأصول: فمفردها أصل، ومعناه لغةً: أساس الشيء، أو ما يُبتنى عليه غيره، كأساس المنزل، وأصل الشجرة، ونحو ذلك

أمَا الدِين في اللغة: فمعناه الذل والخضوع، والمراد به: دين الإسلام، وطاعة الله- تبارك وتعالى- وعبادته، وتوحيده، وامتثال المأمور واجتناب المحذور، وكلّ ما يُتعبّد الله-عز وجل- به.

فتكون أصول الدين على هذا: القواعد والأسس التي تصح بها العبادة، وتتحقق بها طاعة الله ورسوله صلى الله عليه

وسلم، وذلك بامتثال المأمور واجتناب المحذور؛ لأن الاعتقاد هو الأصل الذي ينبني عليه قبول الأعمال وصحتها. فأصول الدين هي ما يقوم وينبني عليه الدين. والدين الإسلامي يقوم على عقيدة التوحيد، ومن هنا سُمي علم التوحيد أو علم العقيدة بعلم أصول الدين؛ لأنه - كما ظهر لنا - هو الأصل والأساس الذي يقوم عليه غيره، فهو - حقًا - كالأساس للمنزل.

ثانيًا: أصول الدين اصطلاحًا:

كلمة أصول الدين عند الفقهاء والأصوليين: يطلقونها على معان:

أحدها: الدليل، يقال: «الأصل في هذه المسألة: الكتاب والسنة».

وثانيها: القاعدة الكلية التي تشتمل على جزئيات موضوعها، كقاعدة: «لا ضرر ولا ضرار».

ثالثها: الراجح -أي: الأولى، والأحرى-، يقال: «الأصل في الكلام الحقيقة لا المجاز».

والأصول من حيث إنها مبنًى وأساسٌ لفرعها سُميت «قواعد». ومن حيث إنها مسالك واضحة إليها سُميت «مناهج». ومن حيث إنها علامات لها سُميت «أعلامًا».

ثالثًا: مؤلفات في أصول الدين:

بعد أن أصبحت كلمة أصول الدين لقبًا لعلم العقيدة، وأصبحت هذه المادة تُدرس تحت هذا العنوان، بل إن البعض توسع، فأدخل في الكليات الجامعية لأصول الدين كلمة «أصول الدين» على العقيدة، بل إن الكليات اليوم في الجامعات الإسلامية، تحمل هذا الاسم. فنقول مثلًا: كلية أصول الدين، أو كلية الدعوة وأصول الدين. وهكذا. ويقال: إن أول من استخدم هذا المصطلح لعلم العقيدة - وإن لم يشتهر وقتها - هو الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- حيث قال في مفتتح كتابه: (الفقه الأكبر): هذا كتاب ذكرنا فيه ظواهر المسائل في «أصول الدين» التي لابد للمكلف من معرفتها، والوقوف عليها. فنجد هنا أن الإمام الشافعي- رحمه الله تعالى- ذكر هذه الكلمة وهو يتكلم عن الفقه الأكبر. ولا شك أننا سنعرف - إن شاء الله - أن الفقه الأكبر هو علم التوحيد أو هو علم العقيدة.

ثم وصلتنا بعد ذلك كتبٌ تحمل هذا الاسم، وفيما يلي إشارة إلى بعضها:

الكتاب الأول: (الإبانة عن أصول الديانة) للإمام أبي الحسن الأشعري- رحمه الله تعالى- وهو كتاب متوسط الحجم، يتضمن أصول عقيدة أهل السنة والجماعة، ويرد فيه على الفرق المخالفة كالمعتزلة والجهمية والرافضة، وقد استدل فيه بأدلة قوية صحيحة ظاهرة من كتاب الله تعالى الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، كما استدل بأحاديث عن النبي صلى الله عليه وسلم.

والمؤلف- رحمه الله تعالى- كان يستدل على ما يذكر بأدلة صحيحة، وبأحاديث صحيحة عن النبي صلى الله عليه وسلم كما أن أهمية هذا الكتاب تظهر من جانب آخر، ألا وهو جانب مؤلف هذا الكتاب: فمؤلف هذا الكتاب هو الإمام الأشعري وقد كان معتزليًا، ثم ترك الاعتزال عند بلوغه سن الأربعين، ومال إلى طريقة عبد الله ابن سعيد بن كُلاب القطان الذي كان يثبت بعض الصفات وينفي بعضها، ثم بعد ذلك وبعد أن دخل بغداد والتقى بتلاميذ الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله تعالى- وأخذ عنهم المعتقد الصحيح لأهل السنة والجماعة، وقال بعقيدة السلف، ونص في مقدمة كتابه هذا: (الإبانة) على أنه يعتقد معتقد الإمام أحمد بن حنبل- رحمه الله تعالى-

الكتاب الثاني: (الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة) لأبي عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العُكبري، وهذا الكتاب يعرف باسم (الإبانة الصغرى).

تعريف كلمة: «السنة»:

أولاً: السنة لغة:

هي الطريقة المسلوكة محمودة كانت أو مذمومة.

والسنة أيضًا: هي العادة. قال تعالى: «سُنَّةَ مَن قَدْ أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِن رُّسُلِنَا وَلَا تَجِدُ لِسُنَّتِنَا تَحْوِيلًا» (الإسراء: ٧٧). أي: هكذا عادتنا في الذين كفروا برسلنا، وآذوهم بخروج الرسول من بين أظهرهم، يأتيهم العذاب.

ثانيًا: السنة اصطلاحًا:

السنة في الشرع تطلق على معانٍ. منها: الشريعة، وبهذا المعنى جاء قولهم: «الأولى بالإمامة الأعلم بالسنة» أي: بأحكام الشرع. وأيضًا من إطلاقاتها: الطريقة المسلوكة في الدين، فتنتظم المستحب والمباح، بل الواجب والفرض أيضًا.

وعرفًا عند الفقهاء: تقيد بأنها الطريقة المسلوكة في الدين من غير افتراض ولا وجوب، والمراد بالطريقة المسلوكة في الدين: ما سلكها رسول الله صلى الله عليه وسلم وغيره ممن هم علم في الدين، كأصحابه لقوله صلى الله عليه وسلم: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي، تمسكوا بها، وعضوا عليها بالنواجذ».

وكذلك يطلق لفظ السنة على ما عمل عليه الصحابة، سواء عثرنا عليه أو لم نعثر عليه فيها؛ لكونه اتباعًا لسنة ثبتت عندهم، وأخذًا وعملاً بالحديث السابق: «عليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدي». وذلك ولا شك فيما لا يتعارض في شيء مما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم.

وتطلق السنة عند علماء أصول الفقه: على ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، وهي هنا تعتبر مصدرًا من مصادر التشريع كالقرآن الكريم.

أما علماء الحديث فيريدون بالسنة: ما نقل عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، أو صفة خلقية أو خلقية، أو سيرة مطلقًا، وهي بهذا مرادفة لمعنى الحديث.

ثالثًا: المؤلفات في الاعتقاد تحت اسم «السنة»:

والمصنفات التي حملت اسم السنة كثيرة، وهي - في الحقيقة - مصنفات في مسائل العقيدة والتوحيد. العلماء - قديمًا - أطلقوا اسم السنة على الاعتقاد؛ لأنه يشيع بين الناس في مثل هذه الأزمان المتأخرة التعريف الفقهي للسنة: وهو أن السنة يُثاب فاعلها ولا يُعاقب تاركها، فإذا طبق أحد هذا التعريف على مسائل الاعتقاد، لا شك أنه يكون قد وقع في خطر عظيم:

الكتاب الأول: (السنة) لابن أبي شيبة، وهو أبو بكر عبد الله بن محمد بن إبراهيم بن عثمان العبسي (رحمه الله تبارك تعالى).

الكتاب الثاني: (كتاب السنة) للإمام أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني، إمام أهل السنة والجماعة (رحمه الله تبارك تعالى).

الكتاب الثالث: (كتاب السنة) للأثرم، وهو أبو بكر أحمد بن محمد بن هانئ البغدادي، وهو تلميذ الإمام أحمد (رحمه الله تبارك تعالى) وغيرها كثير.

ونواصل في العدد القادم إن شاء متابعة التعريف بمصطلحات هذا العلم مثل مصطلح: «الفقه الأكبر» و«أهل السنة والجماعة» و«السلف».

والحمد لله رب العالمين.

عودٌ حميد إلى القرآن المجيد

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين.

أمّا بعد، فها هي أيام رمضانَ المبارك قد أظلتنا لنرْقى ونعبُد، ونُقبل فنسعد، ونتلو القرآن ولا نتردد، فما أجملها من أيام! تمر سريعًا سريعًا، كأنها طيف خيال، ثم ماذا بعدُ؟ نعمْ ماذا بعد رمضان؟ أقول لنفسي ولك من الآن، أتقبلُ أن يضيع منك ما حافظتَ عليه في شهر رمضان، وأن يغيب عنك ما كان حاضرًا في شهر الصيام، ويَح عبد علم ثم جهل، وأقبل ثم أدبر، وذاق ثم فُطم!

إعداد **أ. د محمد حامد**

الأستاذ المساعد بقسم التفسير
وعلوم القرآن بالأزهر

إنَّ وصيتي لك منذ بداية الشهر أن تُعيد النظر في طريقة قراءتك للقرآن الكريم؛ وذلك لأنه حقيقٌ بنا حين نقرأ القرآن أن نُحسَّ وندرك أننا نقرأ رسائل من الله إلينا هي أعظم الرسائل وأجلها وأفخمها وأهمها فأقبلْ عليها وعَظِّمها، وتَفَهَّمْها، وكرِّرها، وحدِّث نفسك دومًا بها قال الله عز وجل: "يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدْ جَآءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَآءٌ لِّمَا فِى ٱلصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ" «سورة يونس:٥٧».

إنَّ الحرص على الإكثار من تلاوة القرآن أمرٌ محمود، ويدفع إليه الرغبة في تكثير الأجور من الغفور الشكور قال تعالى:" إنَّ الَّذين يتْلُون كتاب الله وَأقامُوا الصَّلاة وأنْفقُوا ممَّا رزقْناهُمْ سرًا وَعلانيَةً يرْجُون تجَارةً لنْ تبُور"«سورة: فاطر:٢٩»، وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَنْ قَرأ حَرْفًا منْ كتَاب الله فلَهُ به حَسَنَةٌ، والحسَنَةُ بعَشْر أمْثالها، لا أقُولُ الم حَرْفٌ، ولكنْ ألفٌ حَرْفٌ ولامٌ حَرْفٌ وميمٌ حَرْفٌ» أخرجه الترمذي

في سننه (١٧٥/٥ حديث ٢٩١٠)، وقال بعده: «رفعه بَعْضُهُمْ ووقفه بَعْضُهُمْ عَنْ ابْنِ مَسْعُود "»: «هَذَا حَدِيثٌ حَسَنٌ صَحِيحٌ غَرِيبٌ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ». والأدلة في ذلك كثيرة، والمقصود هنا أنَّ هذا الحرص الملحوظ من أغلب المسلمين في شهر رمضان على تلاوة القرآن له ما يدعمه من الدليل، ويشهد له من الوحي والتنزيل بيد أن الذي لا يحسن بالمسلم أن يبقى بالرغم من كثرة تلاوة القرآن بعيدًا عن هدى القرآن وتزكيته للإنسان.

ألا ترى أنَّ الله سبحانه حين بيّن لنا وظائف النبي صلى الله عليه وسلم ومُهمّاته قال سبحانه: " لَقَدْ مَنَّ اللهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" «سورة آل عمران:١٦٤ »، وقال عز وجل: " هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِه وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ" «سورة الجمعة:٢ ».

وكانت هذه المهمات استجابةً لدعوات الخليل إبراهيم عليه السلام: " رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ" «سورة البقرة:١٢٩ ».

فانظر -وفَقك الله- كيف أنَّه سبحانه جعل تلاوة القرآن إحدى مُهمَّات الرسول صلى الله عليه وسلم، لا جميع مهماته، وتأمَّل في المهمَّتين الأخريين وهما تعليم الكتاب والحكمة، والتزكية لتعلم مكانة تعلم القرآن وتعليمه، وأنه شيءٌ آخر مع التلاوة بدليل عطفه عليها، وواو العطف تفيد المغايرة، وأيضا لتعلم أهمية التزكية وشرفها.

إنّنا بحاجة في شهر رمضان إلى أن نستثمر تلاوتنا للقرآن الكريم فنجعلها تزكية لنفوسنا، وتهذيبا لأخلاقنا، نترقى بها في رتب الإيمان، ومعالي الأمور.

أخي الكريم: ما حظ قلبك من تلاوتك؟ وما نصيبه من قراءتك؟

أتحسب أنك حين تقرأ بلسانك وتتلو، ويغيب قلبك ويلهو تكون قد حققت المطلوب، وظفرت بالمرغوب؟!

كلا إن لحضور القلب عند تلاوة القرآن لشأنا، ولانتفاع القلب بها لقدرًا؛ وها هو نهيكُ بْنُ سِنَانٍ حين قال لابن مسعود رضي الله عنه: إِنِّي لَأَقْرَأُ الْمُفَصَّلَ فِي رَكْعَةٍ، فقال عَبْدُ الله: «هَذًّا كَهَذِّ الشِّعْرِ، إِنَّ أَقْوَامًا يَقْرَءُونَ الْقُرْآنَ لَا يُجَاوِزُ تَرَاقِيَهُمْ، وَلَكِنْ إِذَا وَقَعَ فِي الْقَلْبِ فَرَسَخَ فِيهِ نَفَعَ» «أخرجه مسلم في صحيحه: ديث٨٢٢)».

إنه القلب الحي الذي يتذكر وينيب، ويستقيم ويستجيب قال تعالى: « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ »«سورة ق:٣٧»، وحضور القلب وإقباله وانتفاعه من آثار فهم القرآن وتدبره، وقد ذم الله فريقًا من أهل الكتاب بسبب اكتفائهم بالقراءة دون فهم قال تعالى: «وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلَّا أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ» وقد قيل في تفسيرها:" معناه: لا يعلمون فقه الكتاب، إنما يقتصرون على ما يسمعونه يتلى عليهم" (زاد المسير لابن الجوزي(٨٢/١)).

وهكذا نجد أن القراءة المرغوب فيها في حقيقة الأمر هي القراءة التي يصحبها فهم، وهذا داخل على التحقيق في معنى التلاوة في قوله تعالى:«الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَتْلُونَهُ حَقَّ تِلَاوَتِهِ» (سورة البقرة:١٢١)؛ إذ إن من معاني التلاوة: الاتباع قال الطبري في تفسيره(٤٩٢/٢):" والصواب من القول في تأويل ذلك أنه بمعنى: يتبعونه حق اتباعه، من قول القائل: ما زلت أتلو أثره، إذا اتبع أثره؛ لإجماع الحجة من أهل التأويل على أن ذلك تأويله،، ونسبه الماوردي في النكت والعيون(١٨٢/١) إلى الجمهور، والمرء إذا قرأ ولم يفهم كيف يتبع ويعمل؟

إن القراءة التي نرجوها، والتلاوة التي

نطمح إليها هي قراءة الفهم والتدبر، وهي التي ينتفع بها القلب فيقلع عن الذنب، ويقبل على طاعة الرب.

قال ابن القيم في مفتاح دار السعادة(١٨٧/١): " لا شيء أنفع للقلب من قراءة القرآن بالتدبر والتفكر؛ فإنه جامع لجميع منازل السائرين وأحوال العاملين ومقامات العارفين وهو الذي يورث المحبة والشوق والخوف والرجاء والإنابة والتوكل والرضا والتفويض والشكر والصبر وسائر الاحوال التي بها حياة القلب وكماله وكذلك يزجر عن جميع الصفات والأفعال المذمومة والتي بها فساد القلب وهلاكه فلو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها؛ فإذا قرأه بتفكر حتى مر بآية وهو محتاج إليها في شفاء قلبه كررها ولو مائة مرة ولو ليلة فقراءة آية بتفكر وتفهم خير من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعى الى حصول الايمان وذوق حلاوة القرآن وهذه كانت عادة السلف يردد احدهم الآية الى الصباح وقد ثبت عن النبي أنه قام بآية يرددها حتى الصباح وهي قوله: «إِنْ تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِنْ تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ»؛ فقراءة القرآن بالتفكر هي أصل صلاح القلب، ولهذا قال ابن مسعود رضي الله عنه: لا تهذوا القرآن هذا الشعر ولا تنثروه نثر الدَّقل وقفوا عند عجائبه وحركوا به القلوب لا يكن همُّ أحدكم آخر السورة".

ولعلك تدرك بهذا السرّ في أن كثيرًا من المسلمين بعد إقبالهم على القرآن في رمضان يعودون بعده إلى ما كانوا عليه قبله لا ما كانوا عليه فيه؛ وذلك لأن أكبر همهم ومبلغ علمهم في القراءة، متى أنتهي من السورة، ومتى أختم القرآن دون أن تحرك القراءة قلوبهم، وتؤثر في نفوسهم، وتزكي أخلاقهم.

إننا نريد ممن يعود إلى القرآن المجيد في رمضان أن يكون عودًا حميدًا، وأن يكون عودًا صحيحًا رشيدًا، ويعينه على ذلك أمور:

١- استحضار هذا المعنى الذي أسلفت ذكره وهو أن المقصود من القرآن ليس مجرد التلاوة، وإنما المطلوب قراءة القرآن بفهم وتدبر، ثم ترجمة ذلك إلى عمل وسلوك.

٢- الإقبال بالقلب على المتلو أو المسموع من القرآن قال تعالى: « إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ » «سورة ق:٣٧».

٣- اصطحاب كتاب مختصر في التفسير يساعد على الفهم، ويعين على التدبر، وأرشح لك كتاب المختصر في التفسير- إعداد مركز تفسير للدراسات القرآنية لكثرة مزاياه، أو كتابًا آخر على منواله والخطب يسير، والمهم السير بلا تسويف ولا تقصير.

٤- مدارسة القرآن الكريم مع الصالحين فإنهم للإنسان خير معين.

٥- العمل بما تعلمناه وفهمناه وبهذا تزكو نفوسنا، وترتقي أخلاقنا، ونتغلب على أهوائنا.

ويشهد لذلك ما ثبت عن ابن عبَّاس رضي الله عنهما، قال: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ أَجْوَدَ النَّاسِ، وَكَانَ أَجْوَدُ ما يَكُونُ في رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وَكَانَ يَلْقَاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ فَيُدَارِسُهُ القُرْآنَ. فَلَرَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وَسَلَّمَ أَجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ» «أخرجه البخاري في صحيحه(٨/١حديث٦)، ومسلم في صحيحه (١٨٠٣/٤حديث٢٣٠٨)».

وبيان ذلك من وجوه متعددة منها:

١- اختيار الليل ليكون وقت التلاوة والمدارسة؛ لأنه أجمع للقلب وأبعد عن التشويش والصوارف الدنيوية قال

تعالى: «إنَّ ناشئةَ الليلِ هي أشدُّ وطئًا وأقومُ قيلًا» «سورة المزمل:٦»: قال ابن حجر في فتح الباري(٩/٤٥)- وهو يعدد فوائد هذا الحديث-: " وفيه أن ليل رمضان أفضل من نهاره وأن المقصود من التلاوة الحضور والفهم؛ لأن الليل مظنة ذلك لما في النهار من الشواغل والعوارض الدنيوية والدينية".

وقد ذكروا في وجه زيادة الجود منه صلى الله عليه وسلم في رمضان أن" الحكمة فيه أن مدارسة القرآن تجدد له العهد بمزيد غنى النفس والغنى سبب الجود والجود في الشرع إعطاء ما ينبغي لمن ينبغي وهو أعمّ من الصدقة وأيضا فرمضان موسم الخيرات لأن نعم الله على عباده فيه زائدة على غيره فكان النبي صلى الله عليه وسلم يؤثر متابعة سنة الله في عباده فبمجموع ما ذكر من الوقت والمنزول به والنازل والمذاكرة حصل المزيد في الجود والعلم عند الله تعالى" «فتح الباري١/٣١)».

إن قراءة القرآن في رمضان مع مراعاة هذه الضوابط المذكورة كفيلة بأن تكون عونًا لصاحبها على الثبات على الطاعات، والازدياد من فعل الخيرات، والتغلب على فتن الشهوات والشبهات.

ألا ترى أن بعض السابقين تاب بسبب آية قرأها أو استمع إليها، فغيّرت معالم حياته، ولربما نصح أحدهم أخاه بالآية أو الآيتين فانتفع بها أكثر من ألف نصيحة، ودونك قصة ميمون بن مهران التي رواها ابن عساكر في تاريخ دمشق (٦١/٣٥٢) عن عمرو بن ميمون بن مهران قال: "خرجت بأبي أقوده في بعض سكك البصرة فمررت بجدول فلم يستطع الشيخ يتخطاه فاضطجعت له فمر على ظهري ثم قمت فأخذت بيده فدفعنا إلى منزل الحسن فطرقت الباب فخرجت جارية سداسية فقالت من هذا فقلت هذا ميمون بن مهران أراد لقاء الحسن. فقالت" كاتب عمر بن عبد العزيز؟ قلت لها: نعم. قالت: شقي! ما بقاؤك إلى هذا الزمان السوء؟

قال: فبكى الشيخ فسمع الحسن بكاءه فخرج إليه فاعتنقا ثم دخلا فقال ميمون يا أبا سعيد إني قد أنست من قلبي غلظة لي منه فقرأ الحسن بسم الله الرحمن الرحيم «أفرأيتَ إن متّعناهم سنين (٢٠٥) ثم جاءهم ما كانوا يوعدون (٢٠٦) ما أغنى عنهم ما كانوا يمتّعون» (الشعراء:٢٠٥) قال: فسقط الشيخ فرأيته يفحص برجله كما تفحص الشاة المذبوحة فأقام طويلا ثم أفاق فجاءت الجارية فقالت قد أتعبتم الشيخ قوموا تفرقوا فأخذت بيداي فخرجت به، ثم قلت له يا أبتاه هذا الحسن قد كنت أحسب أنه أكبر من هذا قال فوكز في صدري ثم كره ثم قال يا بني لقد قرأ علينا آية لو تفهمتها لألفى لها فيها كلومًا".

والأمثلة في تأثر السابقين بالقرآن، واستقامة أحوالهم به أكثر من أن تحصى نسأل الله أن يصلح قلوبنا وأحوالنا، وأن يهدينا ويوفقنا.

وأخيرًا، أعود فأقول: لا تنسَ أن القرآن رسالة الله إلينا، ونوره الذي يهدينا، وشفاؤه الذي يداوينا فأقبل عليه بقلبك كما أقبلت عليه بنطقك وسل الله التوفيق وهذه هي السعادة على التحقيق.

وكلما قرأت صفات من يحبهم الله ويدعونا إلى أن نكون منهم فراجع نفسك وتفقد حالك واعلم أنه:

إذا أعجبتك خصال امرئٍ فكُنْه
تكنْ مثل ما يعجبك
فليس على الجود والمكرمات
إذا جئتها حاجبٌ يحجبك

نعم، إذا أردت أن تكون من عباد الرحمن فابحث في نفسك عن صفاتهم، وإذا أردت أن تكون من المتقين ففتش في حالك عن نعوتهم، وهكذا في شأن كل المقربين من الله رب العالمين. وسل الله أن يهديك صراطه المستقيم، وأن يسلمك من سبل الشياطين والحمد لله رب العالمين.

فضل الصوم

إعداد د. جمال المراكبي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الصوم: باب هَلْ يَقُولُ إِنِّي صَائِمٌ إِذَا شُتِمَ: عَنْ أَبِي صَالِحٍ الزَّيَّاتِ، أَنَّهُ سَمِعَ أَبَا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: قَالَ اللَّهُ عز وجل: كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ إِلاَّ الصِّيَامَ، فَإِنَّهُ لِي، وَأَنَا أَجْزِي بِهِ. وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ، فَلاَ يَرْفُثْ وَلاَ يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ، أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ". متفق عليه.

وأخرج مسلم من حديث سعيد بن المسيب: أنه سمع أبا هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: قال الله عز وجل: كل عمل ابن آدم له إلا الصيام. هو لي وأنا أجزي به. فوالذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله، من ريح المسك".

وأخرج أحمد والنسائي وابن خزيمة وابن حبان والحاكم عن أبي أمامة قال: أنشأ رسول الله صلى الله عليه وسلم غزوًا، فأتيته فقلت يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة، فقال: اللهم سلمهم وغنمهم. قال: فسلمنا وغنمنا، ثم أنشأ غزوة فأتيته فقلت يا رسول الله ادع الله لي بالشهادة. فقال: اللهم سلمهم وغنمهم قال فسلمنا وغنمنا.

ثم أنشأ غزوة ثالثة فقلت يا رسول الله إني أتيتك مرتين قبل مرتي هذه؛ فسألتك أن تدعو الله لي بالشهادة فدعوت الله أن يسلمنا ويغنمنا فسلمنا وغنمنا. يا رسول الله فادع الله لي بالشهادة. فقال: اللهم سلمهم وغنمهم قال فسلمنا وغنمنا.

قال ثم أتيته فقلت يا رسول الله، مرني بعمل لعلي أنتفع به. فقال: عليك بالصوم فإنه لا مثل له. قال: فما رُئي أبو أمامة ولا امرأته ولا خادمه إلا صيامًا. قال فكان إذا رُئي في داره الدخان بالنهار قيل اعتراهم ضيف نزل بهم نازل.

قال فلبثت بذلك ما شاء الله ثم أتيته فقلت يا رسول الله أمرتنا بالصيام، وأرجو أن يكون الله قد بارك لنا فيه. يا رسول الله مرني بعمل آخر، فقال: اعلم أنك لن تسجد لله سجدة إلا رفع الله لك بها درجة وحط عنك بها خطيئة.

هل الصيام أفضل العمل الصالح؟

أَشَارَ ابْنُ عَبْدِ الْبَرِّ إِلَى تَرْجِيحِ الصِّيَامِ عَلَى غَيْرِهِ مِنَ الْعِبَادَاتِ فَقَالَ: حَسْبُكَ بِكَوْنِ

الصِّيام جُنَّة مِنَ النَّار فَضْلًا.. وبقول النبي صلى الله عليه وسلم: عَلَيْك بِالصَّوْم فَإِنَّهُ لا مِثْل لَهُ " وَفِي رِوَايَة " لا عَدْل لَهُ "

وَالْمَشْهُور عِنْد الْجُمْهُور تَرْجِيح الصَّلاة لقول النبي صلى الله عليه وسلم: "استَقيموا ولَن تُحصوا واعلَموا أنَّ خير أعمالكُمُ الصَّلاةَ ولا يحافظُ على الوضوءِ إلَّا مؤمنٌ".

قال الحافظ ابن حجر: وقد ورد في هذا التفضيل أحاديث صحيحة منها: أنه صلى الله عليه وسلم سئل عن أفضل الأعمال فقال "إيمان بالله ورسوله ثم جهاد في سبيله ثم حج مبرور".

وفي حديث آخر قال: "الصلاة لوقتها ثم بر الوالدين ثم الجهاد في سبيله"، وفي آخر: "واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة".

وحديث أي الأعمال أفضل؟ قال "الصبر والسماحة"

وقال لأبي أمامة عليك بالصوم فإنه لا مثل له.

وأجاب في الحج بقوله: العج والثج.

فقيل: إن المراد أي من أفضل الأعمال النظائر.

وقيل إنه صلى الله عليه وسلم أجاب كل سائل بحسب ما هو الأفضل في حقه، وبحسب ما يناسبه والأصلح له وما يقدر عليه ويطيقه.

ولهذا وفق أهل العلم بين هذه الأحاديث بحمل اختلاف الإجابات على اختلاف أحوال السائلين.

لماذا كان الصوم من أفضل العبادات؟

والجواب: لأن الصوم قد وردت فيه من الفضائل ما لا يُحصى؛ فالصوم جُنة وحصن حصين من النار

كما في حديث أبى هُرَيْرَةَ «الصِّيَامُ جُنَّةٌ». زَادَ سَعِيد بْن مَنْصُور: " جُنَّة مِنْ النَّار"، وَلِلنَّسَائِيِّ " الصِّيَام جُنَّة كَجُنَّةِ أَحَدكُمْ مِنْ الْقِتَال"، وَلِأَحْمَد " جُنَّة وَحِصْن حَصِين مِنْ النَّار"، وَلَهُ مِنْ حَدِيث أَبِي عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح " الصِّيَام جُنَّة مَا لَمْ يَخْرِقهَا " زَادَ الدَّارِمِيّ " يَخْرِقهَا بِالْغِيبَة "/وَالْجُنَّة بِضَمِّ الْجِيم الْوِقَايَة وَالسَّتْر.

وَقَدْ تَبَيَّنَ بِهَذِهِ الرِّوَايَات أَنَّهُ سَتْر مِنْ النَّار، وَبِهَذَا جَزَمَ ابْن عَبْد الْبَرّ.

وقيل: مَعْنَى كَوْنه جُنَّة أَيْ يَقِي صَاحِبه مَا يُؤْذِيه من الشَّهَوَات.

وَقَالَ الْقُرْطُبِيّ: جُنَّة أَيْ سُتْرَة، يَعْنِي بِحَسَبِ مَشْرُوعِيَّته، فَيَنْبَغِي لِلصَّائِمِ أَنْ يَصُونهُ مِمَّا يُفْسِدهُ وَيَنْقُص ثَوَابه، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ " فَإِذَا كَانَ يَوْم صَوْم أَحَدكُمْ فَلَا يَرْفُث إِلَخْ".

وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ فَائِدَته وَهُوَ إِضْعَاف شَهَوَات النَّفْس، وَإِلَيْهِ الْإِشَارَة بِقَوْلِهِ " يَدَع شَهْوَته إِلَخْ "، وَيَصِحّ أَنْ يُرَاد أَنَّهُ سُتْرَة بِحَسَبِ مَا يَحْصُل مِنْ الثَّوَاب وَتَضْعِيف الْحَسَنَات.

وَقَالَ عِيَاض: سُتْرَة مِنْ الْآثَام أَوْ مِنْ النَّار أَوْ مِنْ جَمِيع ذَلِكَ.

وَقَالَ ابْن الْعَرَبِيّ: إِنَّمَا كَانَ الصَّوْم جُنَّة مِنْ النَّار لِأَنَّهُ إِمْسَاك عَنْ الشَّهَوَات، وَالنَّار مَحْفُوفَة بِالشَّهَوَاتِ.

فَالْحَاصِل أَنَّهُ إِذَا كَفَّ نَفْسه عَنْ الشَّهَوَات فِي الدُّنْيَا كَانَ ذَلِكَ سَاتِرًا لَهُ مِنْ النَّار فِي الْآخِرَة.

وَفِي زِيَادَة أَبِي عُبَيْدَة بْن الْجَرَّاح إِشَارَة إِلَى أَنَّ الْغِيبَة تَضُرّ بِالصِّيَامِ. وَقَدْ حُكِيَ عَنْ عَائِشَة، وَبِهِ قَالَ الْأَوْزَاعِيُّ: إِنَّ الْغِيبَة تُفْطِر الصَّائِم وَتُوجِب عَلَيْهِ قَضَاء ذَلِكَ الْيَوْم.

وَأَفْرَطَ ابْن حَزْم فَقَالَ: يُبْطِلهُ كُلّ مَعْصِيَة مِنْ مُتَعَمِّد لَهَا ذَاكِر لِصَوْمِهِ سَوَاء كَانَتْ فِعْلًا أَوْ قَوْلًا، لِعُمُومِ قَوْله " فَلَا يَرْفُث وَلَا يَجْهَل"، وَلِقَوْلِهِ فِي الْحَدِيث الْآخَر: "مَنْ لَمْ يَدَع قَوْل الزُّور وَالْعَمَل بِهِ فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَة فِي أَنْ يَدَع طَعَامه وَشَرَابه".

وَالْجُمْهُور وَإِنْ حَمَلُوا النَّهْي عَلَى التَّحْرِيم إِلَّا أَنَّهُمْ خَصُّوا الْفِطْر بِالْأَكْلِ وَالشُّرْب وَالْجِمَاع.

ولأجل هذا كان السلف الصالح من الصحابة ومن تبعهم بإحسان يحافظون على الصوم ويكثرون من التطوع فيه ويحفظون فيه الجوارح من اللغو والرفث.

روى ابن أبي شيبة في مصنفه باب ما يؤمر به الصائم من قلة الكلام وتوقي الكذب:

قال أبو ذر: إذا صمت فتحفظ ما استطعت.

وكان طليق إذا كان يوم صومه دخل فلم يخرج

إلا لصلاة.

وقال جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب والمآثم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صيامك ولا تجعل يوم فطرك ويوم صيامك سواء.

وكان أبو هريرة وأصحابه إذا صاموا جلسوا في المسجد.

وقال عمر ليس الصيام من الطعام والشراب وحده ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف.

وعن ميمون: إن أهون الصوم ترك الطعام والشراب.

وعن مجاهد قال خصلتان من حفظهما سلم له صومه: الغيبة والكذب.

وعن إبراهيم قال كانوا يقولون الكذب يفطر الصائم.

وعن أبي العالية قال الصائم في عبادة ما لم يغتب.

خلوف فم الصائم:

المُراد بِهِ تغيُّر رائحة فَم الصَّائم بِسبب الصِّيام.

أطْيب عِند اللَّه مِنْ رِيح المِسْك

قال المَازري: هُوَ مَجاز لأنَّهُ جرتْ العادَة بِتقْرِيب الرَّوائح الطَّيِّبة مِنَّا فاسْتُعِير ذلك للصَّوْم لتقْرِيبه مِنْ اللَّه، فالمَعْنى أنَّهُ أطْيب عِنْد اللَّه مِنْ رِيح المِسْك عِنْدكُمْ أيْ يُقرَّب إليْه أكْثر مِنْ تقْرِيب المِسْك إليْكُمْ.

وَقِيل: المُراد أنَّ ذلك في حَقّ المَلائِكة وأنَّهُمْ يَسْتطِيبُون رِيح الخُلُوف أكْثر مِمَّا يَسْتطِيبُون رِيح المِسْك.

وَقِيل: المُراد أنَّ اللَّه تعالى يَجْزِيه في الآخِرة فتكُون نكْهته أطْيب مِنْ رِيح المِسْك كما يأْتِي المكْلُوم ورِيح جُرْحه تفُوح مِسْكًا.

وَقِيل: المُراد أنَّ صاحِبه يَنال مِنْ الثَّواب ما هُوَ أفْضل مِنْ رِيح المِسْك لا سِيَّما بِالإضافة إلى الخُلُوف حَكاهُما عِياض.

وَقال الدّاوُدِيّ وجماعة: المَعْنى أنَّ الخُلُوف أكْثر ثوابًا مِنْ المِسْك المَنْدُوب إليْه في الجُمَع ومَجالِس الذِّكْر، ورجَّحَ النَّوَوِيّ هذا الأخِير، وحاصِله حَمْل معْنى الطِّيب على القَبُول والرِّضا.

وكل هذه التأويلات من شراح الأحاديث وفق مذهبهم في تأويل صفات الله عز وجل، وهي تأويلات متكلفة، والراجح عندنا ما عليه سلف الأمة من امرار صفات الله عز وجل على ظاهرها اللائق بالله من غير تكييف ولا تحريف.

وقد اختلفوا هل الطيب في الدنيا أم في يوم القيامة؟

ففي رِوايَة مُسْلِم وأحْمَد والنَّسائِيّ مِنْ طرِيق عطاء عنْ أبِي صالِح " أطْيب عِنْد اللَّه يَوْم القِيامة "، وفي رِوايَة: " فم الصَّائِم حِين يَخْلُف مِنْ الطَّعام"، وقدْ ترْجم ابْن حِبَّان بِذلك في صَحِيحه.

قال الحافِظ: وهذِهِ المَسْألة إحْدى المَسائِل الَّتِي تنازَع فِيها ابْن عبْد السَّلام وابْن الصَّلاح مِن الشافعية، فذهب ابْن عبْد السَّلام إلى أنَّ ذلك في الآخِرة كما في دم الشَّهِيد واسْتدلَّ بِالرِّوايَة الَّتِي فِيها "يَوْم القِيامة"

وذهب ابْن الصَّلاح إلى أنَّ ذلك في الدُّنْيا واسْتدلَّ بِرواية: حِين يَخْلُف مِنْ الطَّعام، وصنف كل واحد منهما منتصرا لقوله. ويترتب على هذا الخِلاف المَشْهُور هل يجوز إزالة هذا الخُلُوف بِالسِّواك، أم يكره؟

والراجح ان السواك سنة مستحبة على كل حال.

الصِّيام لي وأنا أجزي به:

اخْتلف العُلماء في المُراد بِقوْله تعالى: "الصِّيام لِي وأنا أجْزِي بِهِ " مع أنَّ الأعْمال كُلّها لِلَّهِ عز وجل وهُوَ الَّذِي يَجْزِي بِها على أقْوال:

أحدها: أنَّ الصَّوْم لا يَقع فِيهِ الرِّياء كما يَقع في غيْره.

قال أبُو عُبَيْد في غرِيبه: قدْ علِمْنا أنَّ أعْمال البِرّ كُلّها لِلَّهِ وهُوَ الَّذِي يَجْزِي بِها، فنرى واللَّه أعْلم أنَّهُ إنَّما خصَّ الصِّيام لأنَّهُ ليْس يَظْهر

من ابن آدم بفعله وإنما هو شيء في القلب.

ويؤيد هذا ما يروى مرسلا " ليس في الصيام رياء".

وقال القرطبي: لما كانت الأعمال يدخلها الرياء والصوم لا يطلع عليه بمجرد فعله إلا الله فأضافه الله إلى نفسه، ولهذا قال في الحديث " يدع شهوته من أجلي".

وقال ابن الجوزي: جميع العبادات تظهر بفعلها وقل أن يسلم ما يظهر من شوب، بخلاف الصوم.

وارتضى هذا الجواب المازري وقرره القرطبي بأن أعمال بني آدم لما كانت يمكن دخول الرياء فيها أضيفت إليهم، بخلاف الصوم فإن حال الممسك شبعا مثل حال الممسك تقربا يعني في الصورة الظاهرة.

ثانيها أن المراد بقوله " وأنا أجزي به " أني أنفرد بعلم مقدار ثوابه وتضعيف حسناته.

قال القرطبي: معناه أن الأعمال قد كشفت مقادير ثوابها للناس وأنها تضاعف من عشرة إلى سبعمائة إلى ما شاء الله، إلا الصيام فإن الله يثيب عليه بغير تقدير.

ويشهد لهذا " كل عمل ابن آدم يضاعف الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلى ما شاء الله- قال الله- إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به"، وهذا كقوله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب)، والصابرون هم الصائمون.

والصوم هو الصبر لأن الصائم يصبر نفسه عن الشهوات، وقد قال الله تعالى: (إنما يوفى الصابرون أجرهم بغير حساب).

ويؤيده أيضا العرف المستفاد من قوله " أنا أجزي به " لأن الكريم إذا قال: أنا أتولى الإعطاء بنفسي كان في ذلك إشارة إلى تعظيم ذلك العطاء وتفخيمه.

ثالثها: معنى قوله " الصوم لي " أي أنه أحب العبادات إلي والمقدم عندي، وقد تقدم: كفى بقوله " الصوم لي " فضلا للصيام على سائر العبادات وكذلك قوله " عليك بالصوم فإنه لا مثل له ".

رابعها: الإضافة إضافة تشريف وتعظيم كما يقال بيت الله وإن كانت البيوت كلها لله.

خامسا: أن جميع العبادات توفى منها مظالم العباد إلا الصيام. روى البيهقي عن ابن عيينة قال: إذا كان يوم القيامة يحاسب الله عبده ويؤدي ما عليه من المظالم من عمله حتى لا يبقى له إلا الصوم، فيتحمل الله ما بقي عليه من المظالم ويدخله بالصوم الجنة.

قال القرطبي: كنت استحسنت هذا الجواب إلى أن فكرت في حديث " المفلس الذي يأتي يوم القيامة بصلاة وصدقة وصيام، ويأتي وقد شتم هذا وضرب هذا وأكل مال هذا " وفيه " فيؤخذ لهذا من حسناته ولهذا من حسناته " فظاهره أن الصيام مشترك مع بقية الأعمال في ذلك.

قال الحافظ: إن ثبت قول ابن عيينة أمكن تخصيص الصيام من ذلك.

فقد يستدل له بما رواه أحمد " كل العمل كفارة إلا الصوم، الصوم لي وأنا أجزي به " وكذا ما رواه أبو داود الطيالسي " قال ربكم تبارك وتعالى: كل العمل كفارة إلا الصوم " وعن شعبة " كل ما يعمله ابن آدم كفارة له إلا الصوم"، وقد أخرجه البخاري في التوحيد بلفظ " لكل عمل كفارة والصوم لي وأنا أجزي به "

لكنه يعارضه حديث حذيفة " فتنة الرجل في أهله وماله وولده يكفرها الصلاة والصيام والصدقة".

للصائم فرحتان:

إذا أفطر: تحتمل كل ليلة وتحتمل فرحة عيد الفطر والفرح بتمام العبادة.

والسنة أن يفرح الصائم ويفرح العابد بتمام عبادته؛ فمن سرته حسنته وساءته سيئته فهو مؤمن.

والفرحة التامة يوم يلقى الله عز وجل فيفرح بلقائه.

والحمد لله رب العالمين.

تذكير الأنام بتاريخ مشروعية الصيام

إعداد
د. سيد عبد العال
إمام وخطيب بوزارة الأوقاف

الحمد لله الذي أعظم على عباده المنَّة بما دفعَ عنهُمْ كيْدَ الشيطان وفتنه، ورد كيده، وخيَّب ظنَّه إذْ جعَل الصَّوْمَ حصْنًا لأوْليَائه، وجُنة، وفتح لهم به أبواب الجنة، وعرفهم: أن وسيلة الشيطان إلى قلوبهم الشهوات المستكنة، وإن بقمعها تصبح النفس مطمئنة، والصلاة والسلام على النبي محمد قائد الأمة، ومبين السنة، وعلى آله، وأصحابه ذوي الأبصار الثاقبة، والعقول الراجحة، وسلم تسليمًا كثيرا.

أما بعد؛ فإن الصوم متميز بخاصية النسبة إلى الله -تعالى- من بين سائر الأركان إذ قال الله -تعالى- فيما رواه عنه نبيه صلى الله عليه وسلم "كل حسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف إلا الصيام فإنه لي، وأنا أجزي به"، وقد قال الله تعالى «إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ» (الزمر:١٠) والصوم نصف الصبر فقد جاوز ثوابه قانونَ التَّقْدير والْحِسَاب، ونَاهيك في معْرفة فضْله قوْلُه صلَّى الله عَلَيْه وسَلَّم: "والَّذي نَفْسي بيَده لخُلوف فم الصَّائم أطْيَبُ عنْد الله منْ ريح المسْك يقُول الله عزَّ وَجلَّ إنما يذر شهوته وطعامه وشرابه لأجلي فالصوم لي وأنا أجزي به"؛ فيُفْرَغ للصَّائم جزاؤُه إفْرَاغا ويُجَازَف جُزافا فلا يدْخل تحْت وهْم وتَقْدير.. إحياء علوم الدين (١/ ٢٣١).

إذا عُلم هذا؛ فإن مما استقر في قلوب البشر معرفة تواريخ الأحداث الجليلة، واهتماهم، بها فكيف، إذا كان الحدث بهذه المثابة والمنزلة؟!

فمتى شرع الصيام، وما هي مراتب تشريعه، ولماذا لم يكن في أول الإسلام؟ هذه هي الأسئلة التي نجيب عنها في مقالنا هذا بإذن الله تعالى.

أولا: مجمل الحديث:

في شهر شعبان من السنة الثانية من هجرة النبي صلى الله عليه وسلم كان تشريعِ الصيام؛ قال السفاريني: وفرض في السنةِ الثانية من الهجرة إجماعًا، فصام رسول الله-صلى الله عليه وسلم- تسع رمضانات إجماعًا. كشف اللثام (٣/٤٧٩).

ثانيا: ذكر بعض فوائده:

حيث إن هذا الحدث الجليل فيه فوائد نذكر منها ما يلي:

الأولى: هل أمر المسلمون بصوم قبل رمضان؟

والجواب: أن صوم عاشوراء كان مشروعًا قبل فرض رمضان ويرى الأحناف أنه كان فرضا قبل صوم رمضان والجمهور على خلاف هذا. وقد دل على ذلك حديث سَلمَة بْن الأكْوَع رَضيَ الله عَنْهُ، قَال: أمَرَ النَّبيُّ صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ رَجُلًا منْ أسْلَمَ: "أنْ أذّنْ في النَّاس: أنَّ مَنْ كَانَ أكَلَ فلْيَصُمْ بَقيَّةَ يَوْمه، وَمَنْ لَمْ يَكُنْ أكَلَ فلْيَصُمْ، فَإنَّ اليَوْمَ يَوْمُ عَاشُورَاءَ" صحيح البخاري (٢٠٠٧).

وعَنِ ابْن عَبَّاس رَضيَ الله عَنْهُمَا، قَالَ: قَدمَ رَسُولُ الله صَلَّى الله عَلَيْه وَسَلَّمَ المَدينَةَ، فَوَجَد

اليهود يصومون يوم عاشوراء؛ فسئلوا عن ذلك؟ فقالوا: هذا اليوم الذي أظهر الله فيه موسى، وبني إسرائيل على فرعون، فنحن نصومه تعظيما له، فقال النبي صلى الله عليه وسلم: "نحن أولى بموسى منكم فأمر بصومه" صحيح مسلم (١١٣٠).

ثم تركت الفرضية إلى التخيير بعد ذلك؛ فعن الأشعث بن قيس "إنما هو يوم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه قبل أن ينزل شهر رمضان، فلما نزل شهر رمضان ترك" صحيح مسلم (١١٢٧).

وقوله ترك: معناه: ترك الفرضية، وبقيت المشروعية والفضيلة؛ لحديث عائشة رضي الله عنها قالت: "كان يوم عاشوراء يوما تصومه قريش في الجاهلية، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصومه في الجاهلية، فلما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة صامه وأمر بصيامه.. فلما فرض رمضان كان هو الفريضة، وترك عاشوراء، فمن شاء صامه، ومن شاء تركه" سنن أبي داود (٢٤٤٢)، وصحيح مسلم (١١٢٥)، واللفظ لأبي داود.

وعن جابر بن سمرة رضي الله عنه، قال: " فلما فرض رمضان، لم يأمرنا، ولم ينهنا ولم يتعاهدنا عنده" صحيح مسلم (١١٢٨).

وقد اتفق العلماء على أن صوم عاشوراء سنة، وليس بواجب، واختلفوا في حكمه أول الهجرة، فقال أبو حنيفة: كان واجبا، بدليل أمره صلى الله عليه وسلم أصحابه بصيامه، والأمر المجرد عن القرائن يدل على الوجوب، فلما فرض رمضان نسخ وجوب صوم عاشوراء وبقي الاستحباب، واستدل بحديث عائشة السابق وما في معناه، ومدة فريضة صيام عاشوراء على هذا سنة واحدة؛ لأن فرض صوم رمضان كان في السنة الثانية من الهجرة.

والمشهور عند الشافعية: أنه كان قبل فرض رمضان مستحبا استحبابا آكد، فلما فرض رمضان ترك تأكد استحبابه، وبقي مطلق الاستحباب، ورجح ابن حجر: أن المتروك وجوبه، وقال: إن تأكد استحبابه باق، ولا سيما مع استمرار الاهتمام به حتى في عام الوفاة، ولترغيبه صلى الله عليه وسلم في صومه، وأنه يكفر سنة، ثم قال: وأي تأكيد أبلغ من هذا؟ (فتح الباري (٤/٢٤٦))، والمنهل الحديث (٢/٢٤١).

الثانية: مراحل فرض صيام رمضان:

وقد مر فرض صيام شهر رمضان على ثلاث مراحل:

المرحلة الأولى: التخيير بين صيامه وبين إطعام مسكين عن كل يوم.

عن سلمة بن الأكوع رضي الله عنه قال: لما نزلت: «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين» قال: كان من أراد منا أن يفطر ويفتدي، حتى نزل قوله «فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة: ١٨٥) فنسختها. صحيح البخاري (٤٥٠٧)، ومسلم (١١٤٥).

وقال البخاري: قال ابن عمر، وسلمة بن الأكوع: نسختها «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ ۚ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ۖ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۗ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَاكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ» (البقرة: ١٨٥). صحيح البخاري (٣/٣٤).

وعن عطاء سمع ابن عباس يقرأ «وعلى الذين يطيقونه فدية طعام مسكين»؛ قال ابن عباس ليست بمنسوخة هو الشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما فيطعمان مكان كل يوم مسكينا. صحيح البخاري (٤٥٠٥).

قال ابن حجر: هذا مذهب ابن عباس، وخالفه الأكثر، وفي هذا الحديث الذي بعده ما يدل على أنها منسوخة، وعلى قول الجمهور يكون في الكلام حذف تقديره وعلى الذين يطيقون الصيام إذا أفطروا فدية، وكان هذا في أول الأمر عند الأكثر ثم نسخ وصارت الفدية للعاجز إذا أفطر، وأما على قراءة ابن عباس؛ فلا نسخ؛ لأنه يجعل الفدية على من تكلف الصوم، وهو لا يقدر عليه فيفطر ويكفر وهذا الحكم باق. فتح الباري (٨/١٨٠).

المرحلة الثانية: تحتم صيامه، لكن إذا أفطر أحدهم إنما يحل له الأكل والشرب والجماع إلى صلاة العشاء، أو ينام قبل ذلك، فمتى نام أو صلى العشاء حرم عليه الطعام والشراب والجماع إلى الليلة القابلة، فوجدوا من ذلك مشقة كبيرة. زاد

المعاد (٣٠/٢)، وتفسير ابن كثير (٥١٠/١).

عن البراء بن عازب-رضي الله عنه- قال: كان أصحاب محمد-صلى الله عليه وسلم- إذا كان الرجل صائما فحضر الإفطار، فنام قبل أن يفطر لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي، وإن أبا قيس صرمة بن أبي أنس الأنصاري كان صائما، فلما حضر الإفطار أتى امرأته؛ فقال لها: أعندك طعام؟ قالت: لا، ولكن أنطلق فأطلب لك، وكان يومه يعمل، فغلبته عيناه.- أي نام- فجاءته امرأته، فلما رأته قالت: خيبة -أي: حرمان وخسران- لك، فأصبح صائما، فلما انتصف النهار غشي عليه، فذكر ذلك للنبي-صلى الله عليه وسلم- فنزلت هذه الآية: ﴿أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم﴾ ففرحوا بها فرحا شديدا، ونزلت: ﴿وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر﴾ البقرة آية (١٨٧). صحيح البخاري (١٩١٥)

المرحلة الثالثة: وهي التي استقر عليها الشرع إلى يوم القيامة، فأنزل الله تعالى: ﴿**أحل لكم ليلة الصيام الرفث إلى نسائكم هن لباس لكم وأنتم لباس لهن علم الله أنكم كنتم تختانون أنفسكم فتاب عليكم وعفا عنكم فالآن باشروهن وابتغوا ما كتب الله لكم وكلوا واشربوا حتى يتبين لكم الخيط الأبيض من الخيط الأسود من الفجر**﴾ سورة البقرة آية (١٨٧).
وانظر: اللؤلؤ المكنون (٣٢٦/٢)، وتفسير آيات الأحكام (٢)

الثالثة: لا يجوز لمسلم أن يتعبد بالمرحلة الأولى ولا أن يلزم نفسه بالثانية؛ لأنه التشريع استقر على الوضع الأخير وعلى ما فيه من اليسر ورفع الحرج، وتأكد وجوبه بالسنة القولية والعملية المتواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وأصحابه الكرام، وأجمع على هذا المسلمون، فلا يحل لمسلم أن يفرط في هذا الأصل من أصول الإسلام الذي هو من أسس التقوى، وهي جماع الخير كله.

الرابعة: ذكر الحكمة من تأخير مشروعية الصيام

قال ابن القيم: لَمَّا كَانَ الْمَقْصُودُ مِنَ الصيام حَبْسَ النَّفْسِ عَنِ الشَّهَوَاتِ، وَفِطَامَهَا عن الْمَأْلُوفَاتِ، وَتَعْدِيلَ قُوَّتِهَا الشَّهْوَانِيَّةِ، لِتَسْتَعِدَّ لِطَلَبِ مَا فِيهِ غَايَةُ سَعَادَتِهَا وَنَعِيمِهَا، وَقَبُولِ مَا تَزْكُو بِهِ مِمَّا فِيهِ حَيَاتُهَا الْأَبَدِيَّةُ، فهو لِجَامُ الْمُتَّقِينَ، وَجُنَّةُ الْمُحَارِبِينَ، وَرِيَاضَةُ الْأَبْرَارِ وَالْمُقَرَّبِينَ، وَهُوَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَعْمَالِ، وَهُوَ سِرٌّ بَيْنَ الْعَبْدِ وَرَبِّهِ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ سِوَاهُ، وَالْعِبَادُ قَدْ يَطَّلِعُونَ مِنْهُ عَلَى تَرْكِ الْمُفْطِرَاتِ الظَّاهِرَةِ، وَأَمَّا كَوْنُهُ تَرَكَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ وَشَهْوَتَهُ مِنْ أَجْلِ مَعْبُودِهِ، فَهُوَ أَمْرٌ لَا يَطَّلِعُ عَلَيْهِ بَشَرٌ، وَذَلِكَ حَقِيقَةُ الصَّوْمِ.

وَلِلصَّوْمِ تَأْثِيرٌ عَجِيبٌ فِي حِفْظِ الْجَوَارِحِ الظَّاهِرَةِ وَالْقُوَى الْبَاطِنَةِ، وَحِمْيَتِهَا عَنِ التَّخْلِيطِ الْجَالِبِ لَهَا الْمَوَادَّ الْفَاسِدَةَ الَّتِي إِذَا اسْتَوْلَتْ عَلَيْهَا أَفْسَدَتْهَا، وَاسْتِفْرَاغِ الْمَوَادِّ الرَّدِيئَةِ الْمَانِعَةِ لَهَا مِنْ صِحَّتِهَا؛ فَالصَّوْمُ يَحْفَظُ عَلَى الْقَلْبِ، وَالْجَوَارِحِ صِحَّتَهَا، وَيُعِيدُ إِلَيْهَا مَا اسْتَلَبَتْهُ مِنْهَا أَيْدِي الشَّهَوَاتِ، فَهُوَ مِنْ أَكْبَرِ الْعَوْنِ عَلَى التَّقْوَى، كَمَا قَالَ تَعَالَى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ (الْبَقَرَةِ: ١٨٣).

وَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ "الصَّوْمُ جُنَّةٌ". وَأَمَرَ مَنِ اشْتَدَّتْ عَلَيْهِ شَهْوَةُ النِّكَاحِ وَلَا قُدْرَةَ لَهُ عَلَيْهِ بِالصِّيَامِ، وَجَعَلَهُ وِجَاءَ هَذِهِ الشَّهْوَةِ.

وَالْمَقْصُودُ أَنَّ مَصَالِحَ الصَّوْمِ لَمَّا كَانَتْ مَشْهُودَةً بِالْعُقُولِ السَّلِيمَةِ وَالْفِطَرِ الْمُسْتَقِيمَةِ، شَرَعَهُ اللَّهُ لِعِبَادِهِ رَحْمَةً بِهِمْ، وَإِحْسَانًا إِلَيْهِمْ وَحِمْيَةً لَهُمْ وَجُنَّةً.

وَكَانَ هَدْيُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيهِ أَكْمَلَ الْهَدْيِ، وَأَعْظَمَ تَحْصِيلٍ لِلْمَقْصُودِ، وَأَسْهَلَهُ عَلَى النُّفُوسِ.

وَلَمَّا كَانَ فَطْمُ النُّفُوسِ عَنْ مَأْلُوفَاتِهَا وَشَهَوَاتِهَا مِنْ أَشَقِّ الْأُمُورِ وَأَصْعَبِهَا، تَأَخَّرَ فَرْضُهُ إِلَى وَسَطِ الْإِسْلَامِ بَعْدَ الْهِجْرَةِ، لَمَّا تَوَطَّنَتِ النُّفُوسُ عَلَى التَّوْحِيدِ وَالصَّلَاةِ، وَأَلِفَتْ أَوَامِرَ الْقُرْآنِ، فَنُقِلَتْ إِلَيْهِ بِالتَّدْرِيجِ. وَكَانَ فَرْضُهُ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ مِنَ الْهِجْرَةِ... زاد المعاد (٢٧/٢).

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين،

والحمد لله رب العالمين.

رمضان

شهر مواساة المحتاجين

إعداد **الشيخ صلاح نجيب الدق**

فرع بلبيس

الحَمْدُ للهِ رَبِّ العَالَمِيْنَ، وَالصَّلاةُ وَالسَّلامُ عَلَى نَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِيْنَ. أما بعد: فإن الإسلام هو دين الرحمة والمواساة مع جميع الناس على اختلاف عقائدهم وجنسياتهم، ورمضان هو شهر مواساة المحتاجين فأقول وبالله تعالى التوفيق:

معنى المواساة:

الْمُوَاسَاةُ: هي مُعَاوَنَةُ الأصدقاء والمستحقين ومشاركتهم في الأموال والأقوات. (تهذيب الأخلاق- ابن مسكويه- ٣/ ٣١).

المواساة ضرورة اجتماعية:

تُعتبرُ المواساةُ ضرورة إنسانية واجتماعية، لا يستطيع الإنسانُ الاستغناء عنها؛ فإن الإسلام منهج حياة لكل مكان وزمان، فهو يحثنا دائماً على المواساة والتراحم والمحبة لتحقيق الخير والطمأنينة في المجتمع، وذلك من خلال آيات القرآن الكريم، وأحاديث نبينا محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

مواساة المحتاجين وصية رب العالمين:

(١) قال سُبحانه: (وَالَّذِينَ تَبَوَّءُو الدَّارَ وَالْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ) (الحشر:٩).

قَالَ الإمامُ ابنُ كثير رحمه الله: قَوْلُهُ تعالى: (وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ) يَعْنِي: حَاجَةً، أَيْ: يُقَدِّمُونَ الْمَحَاوِيجَ عَلَى حَاجَةِ أَنْفُسِهِمْ، وَيَبْدَءُونَ بِالنَّاسِ قَبْلَهُمْ في حَالِ احْتِيَاجِهِمْ إِلَى ذَلِكَ. (تفسير ابن كثير جـ٨ صـ٧٠).

(٢) قال جلَّ شأنه (وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا ﴿٨﴾ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا) (الإنسان: ٨: ٩).

نبينا صلى الله عليه وسلم يحثنا على مواساة المحتاجين:

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعَرِيِّ، رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْمُؤْمِنُ لِلْمُؤْمِنِ كَالْبُنْيَانِ يَشُدُّ بَعْضُهُ بَعْضًا» وَشَبَّكَ بَيْنَ أَصَابِعِهِ. (البخاري حديث: ٢٤٤٦ مسلم حديث ٢٥٨٥).

(٢) عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى اللَّه عليه وسلم: أنا وكَافِلُ

اليتيم في الجنة هكذا وأشار بالسبابة والوسطى وفرج بينهما شيئًا. (البخاري حديث ٥٣٠٤).

(٣) عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: أطعموا الجائع، وعودوا المريض، وفكوا العاني (الأسير) (البخاري حديث:٥٦٤٩).

أقوال الحكماء عن المواساة:

(١) قال إبراهيم بن أدهم رحمه الله: المواساة من أخلاق المؤمنين. (حلية الأولياء لأني نعيم الأصبهاني جـ٧صـ٣٧٠).

(٢) قال ابن قتيبة رحمه الله: لا حصنت النعم بمثل المواساة. (عيون الأخبار لابن قتيبة جـ١صـ٣٨٨).

(٣) قال أبو عبد الله الجهني رحمه الله: المواساة تجديد للمؤاخاة. (الفتوة- أبو عبد الرحمن السلمي ص٩٣).

أنواع المواساة:

قال الإمام ابن القيم رحمه الله: المواساة للمؤمنين أنواع، وهي:

(١) مواساة بالمال.
(٢) مواساة بالجاه.
(٣) مواساة بالبدن والخدمة.
(٤) مواساة بالنصيحة والإرشاد.
(٥) مواساة بالدعاء والاستغفار لهم.
(٦) مواساة بالتوجع لهم.

وعلى قدر الإيمان تكون هذه المواساة، فكلما ضعف الإيمان ضعفت المواساة، وكلما قوي قويت. وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم أعظم الناس مواساة لأصحابه بذلك كله. (الفوائد لابن القيم ص١٧١).

رمضان شهر مواساة المحتاجين:

قال تعالى: (مثل الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله كمثل حبة أنبتت سبع سنابل في كل سنبلة مئة حبة والله يضاعف لمن يشاء والله واسع عليم) (البقرة:٢٦١)، وقال جل شأنه: (لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون وما تنفقوا من شيء فإن الله به عليم) (آل عمران: ٩٢)، وقال سبحانه: (وما أنفقتم من شيء فهو يخلفه وهو خير الرازقين) (سبأ:٣٩).

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: من تصدق بعدل تمرة من كسب طيب ولا يقبل الله إلا الطيب وإن الله يتقبلها بيمينه ثم يربيها لصاحبه كما يربي أحدكم فلوه (مهره) حتى تكون مثل الجبل. (البخاري حديث١٤١٠، ومسلم حديث ١٠١٤).

وكان النبي صلى الله عليه وسلم جوادًا كريمًا، يؤثر المحتاجين من الصحابة على نفسه وآل بيته، وكان يعطي عطاء من لا يخشى الفقر.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان جبريل عليه السلام يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه النبي صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل عليه السلام كان أجود بالخير من الريح المرسلة. (البخاري حديث ١٩٠٢).

معنى الجود: الجود: هو سعة العطاء وكثرته.

فما أجمل أن نقتدي بالنبي صلى الله عليه وسلم فنبذل من أموالنا للمحتاجين من الفقراء والأيتام خاصة في شهر رمضان.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما نقصت صدقة من مال. (مسلم حديث ٢٥٨٨)؛ فالصدقات هي سبيل البركة في الأموال والصحة والذرية وزيادة حسنات العبد.

الإنفاق هو التجارة الرابحة:

قال تعالى: (إن الذين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سرًا وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم أجورهم ويزيدهم من فضله إنه غفور شكور) (فاطر: ٢٩: ٣٠).

الصدقة سبب لمغفرة الذنوب:

قال سبحانه: (وسارعوا إلى مغفرة من

ربكم وجنة عرضها السماوات والأرض أعدت للمتقين الذين ينفقون في السراء والضراء والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس والله يحب المحسنين) (آل عمران: ١٣٣، ١٣٤)، وقال تعالى: (إن تقرضوا الله قرضا حسنا يضاعفه لكم ويغفر لكم والله شكور حليم) (التغابن:١٧).

الملائكة تدعو للمتصدقين:

عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملكان ينزلان فيقول أحدهما: اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر: اللهم أعط ممسكا تلفا. (البخاري حديث١٤٤٢، ومسلم حديث١٠١٠).

الصدقة أمان للمسلم يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: (الذين ينفقون أموالهم في سبيل الله ثم لا يتبعون ما أنفقوا منا ولا أذى لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون) (البقرة:٢٦٢).

الصدقة تؤلف بين قلوب المؤمنين:

روى الشيخان عن النعمان بن بشير، رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم، وتعاطفهم مثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى. (البخاري حديث٦٠١١/مسلم حديث٢٥٨٦ واللفظ له).

نبينا صلى الله عليه وسلم هو القدوة في مواساة المحتاجين:

قال الله تعالى في وصف مواساة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم للمؤمنين: (لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم حريص عليكم بالمؤمنين رءوف رحيم) (التوبة:١٢٨).

(١) عن عبد الرحمن بن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهما، أن أصحاب الصفة، كانوا ناسا فقراء، وأن رسول الله صلى الله عليه وسلم، قال مرة: «من كان عنده طعام اثنين فليذهب بثالث، ومن كان عنده طعام أربعة فليذهب بخامس، بسادس» وأن أبا بكر جاء بثلاثة، وانطلق نبي الله صلى الله عليه وسلم بعشرة. (مسلم حديث: ٢٠٥٧)

(٢) عن سهل بن حنيف، رضي الله عنه، قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم «يأتي ضعفاء (فقراء) المسلمين، ويزورهم ويعود مرضاهم، ويشهد جنائزهم». (صحيح الجامع للألباني حديث ٤٨٧٧).

(٣) عن زيد بن أرقم، رضي الله عنه، قال: عادني (زارني) رسول الله صلى الله عليه وسلم من وجع كان بعيني. (صحيح أبي داود للألباني حديث:٣١٠٢)

مواساة الأنصار للمهاجرين:

عن أنس بن مالك، قال: لما قدم النبي صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه المهاجرون فقالوا: يا رسول الله، ما رأينا قوما أبذل من كثير ولا أحسن مواساة من قليل من قوم نزلنا بين أظهرهم لقد كفونا المؤنة وأشركونا في المهنأ حتى لقد خفنا أن يذهبوا بالأجر كله. فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم». (صحيح الترمذي للألباني حديث: ٢٤٨٧)

قال الطيبي رحمه الله قوله صلى الله عليه وسلم «لا، ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم» معناه: لا: أي ليس الأمر كما زعمتم فإنكم إذا أثنيتم عليهم شكرا لصنيعهم ودمتم عليه فقد جازيتموهم. (تحفة الأحوذي للمباركفوري جـ٧صـ١٥٩).

صور من مواساة أصحاب نبينا صلى الله عليه وسلم:

(١) عن أنس رضي الله عنه أنه قال: قدم علينا عبد الرحمن بن عوف وآخى رسول الله صلى الله عليه وسلم بينه وبين سعد بن الربيع وكان كثير المال فقال سعد قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالا سأقسم مالي بيني وبينك شطرين ولي امرأتان فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلت تزوجتها فقال عبد الرحمن بارك الله لك في أهلك. (البخاري حديث ٣٧٨١).

(٢) قال الحسن بن حكيم: حدثتني أمي فقالت: كانت لأبي برزة جفنة من ثريد غدوة

وَجفنَةٌ عشيَّةً للأرامل واليتامى والمساكين. (الطبقات الكبرى لابن سعد جـ٤صـ٢٢٤).

(٣) عَنْ أبي هُريرة قال: كُنّا نُسمّي جعفر بْنَ أبي طالب أبا المساكين. قال: وكانَ يَذهبُ بنا إلى بيته، فإذا لم يجدْ لنا شيئًا أَخرَجَ إلينا عُكّةً (هي إناءٌ منْ جلد يُجعل فيه السَّمْن غالبًا والعَسل) أثرُها عسل. قال: فشققناها، وجعلنا نلعقُها. (شعب الإيمان للبيهقي جـ١٣ ص٣١٢).

صور من مواساة السلف الصالح:

(١) قال أبو حمزة الثمالي: كان عليُّ بْنُ الحُسيْن يحمل جرابَ الخُبْز على ظهْره بالليل فيتصدّق به ويقول: «إنّ صدقةَ السرّ تُطفئُ غضبَ الرَّبِّ عزَّ وجل» (حلية الأولياء للأبي نعيم الأصبهاني جـ٣صـ٣٨٣).

(٢) بلغ عبدَ الله بن المقفع أنّ جارًا له يبيعُ دارَه في دَيْن ركبه، وكان يجلس في ظل دار هذا الجار، فقال: «ما قمْتُ إذًا بحُرمَة ظلّ داره إنْ باعها مُعدمًا(مُحتاجًا) فدفع إليه ثمنَ الدار، وقال: «لا تبعْها» (إحياء علوم الدين للغزالي جـ٢ صـ٣٣١).

(٣) قال عبدُ الله بْنُ مُحمّد الفَرْويُّ: اشترى عبْدُ الله بْنُ عامر بْنِ كُريْز منْ خالد بْن عُقبة بْن أبي مُعيط دارَهُ التي في السُّوق، ليفتح بها بابَه على السُّوق بثمانين أوْ تسعين ألفًا، فلمّا كان من الليْل سمع بُكاءً، فقال لأهْله: «ما لهؤلاء يبْكون؟»، قالوا: على دارهمْ، قال: «يا غلامُ، ايتهمْ وأعْلمْهُمْ أنّ الدّارَ والمالَ لهُمْ» (مكارم الأخلاق لابن أبي الدنيا صـ٨٦ رقم ٣٥١).

(٤) قال قيس بن الربيع: كان أبو حنيفة يبعث بالبضائع إلى بغداد فيشتري بها الأمتعة ويحملها إلى الكوفة ويجمع الأرباح عنده من سنة إلى سنة فيشتري بها حوائج الأشياخ المحدثين وأقواتهم وكسوتهم وجميع حوائجهم، ثم يدفع باقي الدنانير من الأرباح إليهم فيقول: أنفقوا في حوائجكم ولا تحمدوا إلا الله، فإني ما أعطيتكم من مالي شيئًا، ولكن من فضل الله عليَّ فيكم، وهذه أرباح بضائعكم، فإنه هو والله مما يجريه الله لكم على يدي فما في رزق الله حوْل لغيره. (تاريخ بغداد للخطيب البغدادي جـ١٣ صـ٣٦٢).

(٥) عنْ يحيى بْن بُكيْر، قال: احترقتْ دارُ عبد الله بْن لهيعة، فبعث إليه الليْثُ بْن سعْد بألْف دينار. (حلية الأولياء لأبي نعيم جـ٧صـ٣٢٢).

إن المسلمين الأوائل قد طبقوا المواساة بمعناها الشامل، فتغلبوا بفضل الله تعالى على ما قابلهم من أزمات وحلّ الرخاء محل الجدب، وأصبح كل مسلم آمنًا على نفسه ومأكله ومسكنه وأولاده وأمواله.

ثمرات المواساة:

(١) المواساةُ تُكسبُ المسلم حبَّ الله تعالى ثمّ حبَّ الناس.

(٢) المواساةُ دليلُ حُبِّ الخير للناس.

(٣) المواساةُ تشيع روح الأخوّة الصادقة بين المسلمين.

(٤) المواساةُ تقوي العلاقات بين جميع المسلمين.

(٥) المواساةُ تساعدُ على قضاء حاجات المحتاجين.

(٦) المواساةُ تُدخلُ السرورَ على المسلم.

(٧) المواساةُ تجعلُ صاحبها من المسرورين يوم القيامة.

(٨) المواساةُ من أحبِّ الأعمال الصالحة إلى الله تعالى.

(٩) المواساةُ تدعو إلى الألفة وتؤكد معنى الإخاء وتنشر المحبّة بين أفراد المجتمع.

(١٠) المواساةُ تُذهبُ الحسد وتميت الأحقاد من قلوب الناس. (موسوعة نضرة النعيم جـ٨صـ٣٤٦٩)(بتصرف)

وآخرُ دعوانا أن الحمْدُ لله ربِّ العالمين. وصلى الله وسلّم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الدين.

عدد ركعات صلاة التراويح

إعداد **د. أيمن خليل**

دكتوراه في الحقوق
رئيس فرع المنصورة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على خاتم المرسلين؛ أما بعد؛ فنتحدث عن أقوال الفقهاء بشأن عدد ركعات صلاة القيام في رمضان، والتي اصطلح الفقهاء على تسميتها بصلاة التراويح.

صلاة التراويح:

صلاة التراويح لفظة مركبة من كلمتين، الأولى صلاة: وهي عبادة ذات أقوال وأفعال تُفتتح بالتكبير وتختم بالتسليم. والثانية تراويح، والتراويح: جمع ترويحة وهي المرة الواحدة من الراحة، (على وزن تفعيلة) مثل تسليمة من السلام، وسميت بذلك لاستراحة القوم بعد كل أربع ركعات؛ وذكر ابن الأزهري في تهذيب اللغة عن ابن الأعرابي: أراح الرجل إذا استراح بعد التعب. ويقول ابن مفلح في المبدع: "... التراويح سميت به لأنهم كانوا يجلسون بين كل أربع يستريحون، وقيل لأنها مشتقة من المراوحة وهي التكرار في الفعل...". وصلاة التراويح تصلى جماعة في المسجد خلافًا للنوافل.

مشروعية صلاة التراويح:

صلاة التراويح مشروعة بالسنة والإجماع، فالسنة لحديث أبي هريرة المتفق عليه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: " مَنْ قامَ رَمَضانَ إيمانًا واحْتِسابًا غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ من ذَنْبِه" ؛ فهي سبب لمغفرة صغائر الذنوب.

ولحديث عائشة رضي الله عنها المتفق عليه: "أن رسول الله صلى الله عليه وسلم خرج ليلة من جوف الليل، فصلى في المسجد، وصلى رجال بصلاته، فأصبح الناس فتحدثوا، فاجتمع أكثر منهم فصلوا معه، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم فصلى فصلوا بصلاته، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله، حتى خرج لصلاة الصبح، فلما قضى الفجر أقبل على الناس، فتشهد، ثم قال: أما بعد، فإنه لم يخف عليَّ مكانكم، ولكني خشيت أن تفترض عليكم فتعجزوا عنها. فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم والأمر على ذلك". وفي معنى هذين الحديثين

حديث زيد بن ثابت المتفق عليه وحديث أبي ذر الغفاري في سنن أبي داود وسنن النسائي.

أما مشروعية صلاة التراويح بالإجماع: فقد اتفق الفقهاء على سنية صلاة التراويح، ولم يخالف في ذلك إلا الشيعة الروافض الذين يرون أن صلاة التراويح ليست من سنة النبي صلى الله عليه وسلم، وانما هي من صنيع عمر، ولذلك يستقدمون القراء في ليالي رمضان لقراءة القرآن بإيران ولكنهم لا يصلون صلاة التراويح.

وينقل النووي إجماع الفقهاء على سنية صلاة التراويح فيقول في المجموع: "..... فصلاة التراويح سنة بإجماع العلماء...". ويؤكد ابن قدامة في المغني أن صلاة التراويح سنة مؤكدة، وأن أول من سنها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم؛ وانما نسبت التراويح إلى عمر ابن الخطاب رضي الله عنه لأنه جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصليها بهم.

عدد ركعات صلاة التراويح

ومع اتفاق الفقهاء على أن صلاة التراويح سُنة؛ فإنهم اختلفوا بشأنها في مسائل؛ منها عدد ركعات صلاة التراويح التي يقوم بها الناس في رمضان، فذهب جماهير الفقهاء من الحنفية والشافعية، والحنابلة، وداود الظاهري ومالك في أحد قوليه إلى القيام بعشرين ركعة سوى الوتر.

وذهب مالك في قول له وهو مشهور مذهب المالكية إلى أن عدد ركعات صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة سوى الوتر، وذهب البعض إلى أن عدد ركعات الوتر ثمانية سوى الوتر وأحد عشرة ركعة بالوتر.

القول الأول: قول جماهير الفقهاء: عدد ركعات صلاة التراويح عشرون ركعة سوى الوتر:

ذهب الحنفية والشافعية والحنابلة، ومالك في أحد قوليه، وداود الظاهري إلى أن عدد ركعات صلاة التراويح عشرون ركعة سوى الوتر.

١- فقهاء الحنفية

يقول البدر العينى في كتابه البناية الذي شرح به كتاب الهداية للمرغيناني: "... ويستحب أن يجتمع الناس في شهر رمضان بعد العشاء فيصلي بهم إمامهم خمس ترويحات، في كل ترويحة بتسليمتين، فتصير الجملة عشرين ركعة، وهو مذهبنا، وبه قال الشافعي وأحمد، ونقله القاضي عن جمهور العلماء.

ويقول الكاساني فى بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع: "... وأما قدرها فعشرون ركعة في عشر تسليمات، في خمس ترويحات كل تسليمتين ترويحة، وهذا قول عامة العلماء. وبنحوه النسفي في كنز الدقائق حيث يقول: "... وسنّ في رمضان عشرون ركعة بعشر تسليمات بعد العشاء قبل الوتر. وبمثله قال الزيلعي في تبيين الحقائق، والحلبي في ملتقى الأبحر، وزين الدين الرازي في تحفة الملوك، وغيرهم.

٢- فقهاء الشافعية

يقول الشافعي عن عدد الترويحات في قيام الليل في رمضان-فيما نقله عنه القاضي عبد الوهاب المالكي عُيون المسائل-: "... عدد التراويح عند أهل المدينة تسع ترويحات، وهي ست وثلاثون ركعة، ثم يوترون بثلاث ركعات، فذلك: تسع وثلاثون. وأحب إليّ أن تكون خمسًا، وهي عشرون ركعة، وهو قول أهل العراق...".

ويقول الماوردي في الحاوي الكبير-الذي شرح به مختصر المزني-: ".... فإذا تقرر هذا وثبت فالذي أختار عشرون ركعة خمس ترويحات كل ترويحة شفعين كل شفع ركعتين بسلام ثم يوتر بثلاث؛ لأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جمع الناس على أبي بن كعب فكان يصلي بهم عشرين ركعة جرى به العمل وعليه الناس بمكة...".

وهذا أيضا ما نص عليه الشيرازي في المهذب في فقه الإمام الشافعي بقوله: ".... من السنن الراتبة قيام رمضان؛ وهو عشرون ركعة بعشر تسليمات...".

ويذكر الرافعي في كتابه "فتح العزيز بشرح الوجيز" -الذي شرح به كتاب الوجيز في الفقه الشافعي لأبي حامد الغزالي- أن صلاة التراويح عشرون ركعة بعشر تسليمات؛ وأن هذا مذهب أبي حنيفة وأحمد.

ويذهب النووي في روضة الطالبين إلى أن صلاة التراويح عشرون ركعة بعشر تسليمات، أي إن التسليم كل ركعتين. ويؤكد أنه لا يجوز أن يصلى الأربع ركعات بتسليمة واحدة فيقول: "... فلو صلى أربعًا بتسليمة، لم يصح.

٣- فقهاء الحنابلة:

ويؤكد ابن قدامة المقدسي في المغني أن مذهب أحمد هو أن صلاة التراويح عشرون ركعة، حيث يقول: ".... والمختار عند أبي عبد الله رحمه الله فيها عشرون ركعة وبهذا قال الثوري وأبو حنيفة والشافعي...".

ويقول ابن مفلح في المبدع: "... التراويح سنة سنها النبي صلى الله عليه وسلم؛ وليست محدثة لعمر، وهي من أعلام الدين الظاهرة...... وهي عشرون ركعة في قول أكثر العلماء..."

كما يقول ابن مفلح في الفروع: ".... وتسن التراويح في رمضان عشرون ركعة عند الأئمة الثلاثة لا ست وثلاثون خلافًا لمالك، في جماعة مع الوتر نص على ذلك.

٤- أدلة القائلين بأن عدد ركعات صلاة التراويح عشرون ركعة سوى الوتر:

روى عبد الرزاق وابن أبي شيبة والبيهقي عن السائب بن يزيد قال: " كانوا يقومون على عهد عمر بن الخطاب- رضي الله عنه- في شهر رمضان بعشرين ركعة- قال- وكانوا يقرؤون بالمئين، وكانوا يتوكئون على عصيهم في عهد عثمان بن عفان- رضي الله عنه- من شدة القيام. كما أخرج عبد الرزاق في مصنفه عن السائب بن يزيد أنه قال: ".... كنا ننصرف من القيام على عهد عمر، وقد دنا فروع الفجر، وكان القيام على عهد عمر ثلاثًا وعشرين ركعة.

وروى البيهقي عن السائب بن يزيد الصحابي قال كانوا يقومون على عهد عمر-رضي الله عنه- بعشرين ركعة، وعلى عهد عثمان وعلي.... ثم قال: وهذا كالإجماع.

فعمر أمر أبيًا أن يصلي بالناس في رمضان. فقال: إن الناس يصومون النهار ولا يحسنون أن يقرؤوا، فلو قرأت القرآن عليهم بالليل، فقال: يا أمير المؤمنين هذا شيء لم يكن. فقال: قد علمت، ولكنه حسن. فصلى بهم عشرين ركعة (المستخرج من الأحاديث المختارة مما لم يخرجه البخاري ومسلم في صحيحيهما المعروف بالأحاديث المختارة لضياء الدين أبي عبد الله محمد بن عبد الواحد المقدسي).

وكان أبيّ بن كعب يصلي التراويح بثلاث وعشرين ركعة، لما رواه ابن أبي شيبة عن عبد العزيز بن رفيع، قال: كان أبي بن كعب يصلي بالناس في رمضان بالمدينة عشرين ركعة، ويوتر بثلاث (مصنف ابن أبي شيبة).

وروى ابن أبي شيبة عن عطاء أنه قال: "أدركت الناس وهم يصلون ثلاثًا وعشرين ركعة بالوتر.

وروى مالك في الموطأ عن يزيد بن رومان أنه قال: " كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة.

كما استدلوا أيضًا بما رواه ابن أبي شيبة عن أبي الحسناء: أن عليًا أمر رجلاً يصلي بهم في رمضان عشرين ركعة.

ومما سلف يتضح أنه لا خلاف في أن الصحابة رضي الله عنهم والتابعون من بعدهم كانوا يقومون بإحدى عشرة، ثم كانوا يقومون بعشرين ويوترون بثلاث، وهو ما ذكره الزرقاني في شرحه على موطأ مالك وهو يعرض لأثر يزيد بن رومان أنه قال: كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة ما نصه: ".... كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب في رمضان بثلاث وعشرين ركعة، وجمع البيهقي وغيره بين هذا وسابقه بأنهم كانوا يقومون بإحدى عشرة واحدة منها وتر ثم قاموا بعشرين وأوتروا بثلاث. قال الباجي: فأمرهم أولا بتطويل القراءة لأنه أفضل ثم ضعف الناس فأمرهم بثلاث وعشرين فخفف

من طول القراءة، واستدرك بعض الفضيلة بزيادة الركعات.

القول الثاني: عدد ركعات صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة سوى الوتر:

ذهب المالكية إلى أن عدد ركعات صلاة التراويح ست وثلاثون ركعة، وهذا هو مذهبهم (وهو ما كان عليه العمل بالمدينة المنورة)، وذلك لأن صلاة التراويح عند أهل المدينة تسع ترويحات، وهي ست وثلاثون ركعة، ثم يوترون بثلاث ركعات، فذلك: تسع وثلاثون؛ ويذكر القاضي عبد الوهاب في عيون المسائل أن عدد التراويح عند أهل المدينة تسع ترويحات، وهي ست وثلاثون ركعة، ثم يوترون بثلاث ركعات، فذلك تسع وثلاثون.

ويذكر ابن رشد في بداية المجتهد: "…. أن مالكًا روى عن يزيد بن رومان قال: كان الناس يقومون في زمان عمر بن الخطاب بثلاث وعشرين ركعة…. وذكر ابن القاسم عن مالك أنه الأمر القديم- يعني القيام بست وثلاثين ركعة.

يقول ابن شاس: "…. والذي استمر عليه العمل من العدد فيها تسع وثلاثون يوتر منها بثلاث، وإن فعل دون هذا العدد فلا حرج….". وقد ذكر النووي عن الشافعي انه قال: ورأيت أهل المدينة يقومون بتسع وثلاثين، منها ثلاث للوتر.

وقد ورد أن أهل المدينة كانوا يقومون بإحدى وأربعين ركعة، وليس ثمة تعارض في ذلك حيث يقومون بستة وثلاثين ركعة ثم يوترون بخمس، وقد ورد أن صالحًا مولى التوأمة قال: أدركت الناس يقومون بإحدى وأربعين ركعة يوترون منها بخمس.

ويذكر الشيخ خليل بن إسحاق المالكي أن صلاة التراويح كانت ثلاثًا وعشرين ركعة بالوتر؛ ثم جعلت تسعًا وثلاثين، وهو ما قرره الزرقاني مستدلاً بما ذكره ابن حبيب أن صلاة التراويح كانت أولاً إحدى عشرة، وكانوا يطيلون القراءة فثقل عليهم فخففوا القراءة وزادوا في عدد الركعات فكانوا يصلون عشرين ركعة غير الشفع والوتر بقراءة متوسطة، ثم خففوا القراءة وجعلوا الركعات ستًا وثلاثين غير الشفع والوتر، ومضى الأمر على ذلك. وروى محمد بن نصر عن داود بن قيس قال: أدركت الناس في إمارة أبان بن عثمان وعمر بن عبد العزيز يعني بالمدينة يقومون بست وثلاثين ركعة ويوترون، وقال مالك: هو الأمر القديم عندنا.

ويبين التتائي في جواهر الدرر- الذي شرح به مختصر خليل- أن سبب زيادة أهل المدينة في عدد ركعات صلاة التراويح لسبب آخر ذكره ألا وهو واقعة الحرة حيث يقول: "…. والتراويح ثلاث وعشرون ركعة بالشفع والوتر، وعلى هذا التقدير….، وعلى هذا العدد استمر الفعل في زماننا شرقًا وغربًا، ثم جعلت هذه الصلاة بعد وقعة الحرة بالمدينة الشريفة ستًا وثلاثين ركعة غير الشفع والوتر، فخففوا في القيام، وزادوا في العدد؛ لسهولته، فصارت بالشفع والوتر تسعًا وثلاثين ركعة

وما ذكره التتائي أكده الباجي فيما نقله عنه الزرقاني في شرحه على الموطأ حيث يقول: "…. كان الناس يقومون الليل في رمضان بعشرين ركعة والوتر، قال الباجي: وكان الأمر على ذلك إلى يوم الحرة فثقل عليهم القيام فنقصوا من القراءة وزادوا الركعات فجعلت ستًا وثلاثين غير الشفع والوتر.

القول الثالث: عدد ركعات صلاة التراويح أحد عشرة ركعة

ذهب بعض الفقهاء إلى أن عدد ركعات الوتر ثمانية سوى الوتر، فتكون أحد عشرة ركعة، استنادًا إلى حديث أبي سلمة بن عبد الرحمن أنه سأل عائشة رضي الله عنها: كيف كانت صلاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان؟ فقالت: ما كان رسول اللهصلى الله عليه وسلم يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة، يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم

يصلي أربعًا، فلا تسل عن حسنهن وطولهن، ثم يصلي ثلاثًا".

كما استدلوا أيضا بما يرويه مالك عن السائب بن يزيد، أنه قال: أمر عمر بن الخطاب أبي بن كعب، وتميمًا الداري، أن يقوما للناس بإحدى عشرة ركعة، قال: وقد كان القارئ يقرأ بالمئين، حتى كنا نعتمد على العصي من طول القيام، وما كنا ننصرف إلا في فروع الفجر.

وهؤلاء يتجاهلون ما أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم والتابعون من بعدهم في شتى الأمصار على صلاة التراويح عشرين ركعة سوى الوتر. وأن المقصود هو القيام بأي عدد من الركعات وليس المنع من الزيادة عن الأحد عشر ركعة كما فهموا. وفي حديث ابن عمر-المتفق عليه- أن رجلاً سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن صلاة الليل فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: صلاة الليل مثنى مثنى، فإذا خشي أحدكم الصبح صلى ركعة واحدة توتر له ما قد صلى. فالنبي لم يوقت له بأحد عشر ركعة، ولم ينهه عن الزيادة، وإنما بين له أنه يصلي الليل ركعتين ركعتين لا يزيد عيهما دون التقيد بعدد.

والمولى سبحانه حينما فرض قيام الليل على النبي والصحابة قال: « يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُزَّمِّلُ ① قُمِ ٱلَّيۡلَ إِلَّا قَلِيلٗا ② نِّصۡفَهُۥٓ أَوِ ٱنقُصۡ مِنۡهُ قَلِيلًا ③ أَوۡ زِدۡ عَلَيۡهِ وَرَتِّلِ ٱلۡقُرۡءَانَ تَرۡتِيلًا » (سورة المزمل: ١ - ٤).

فقد طلب المولى سبحانه الصلاة دون تحديدها بعدد معين من الركعات، وإنما بقدر زمني، وهذا المقدار من أطال القراءة فيه قلل من عدد الركعات، ومن خفف مقدار القراءة في كل ركعة مع الالتزام بنفس الوقت لا بد أن يزيد في عدد الركعات.

وتتمة حديث السائب بن يزيد كما سلف، وكان القيام على عهد عمر ثلاثا وعشرين ركعة.

ومن ثم فإن الراجح في هذه المسألة هو مذهب جماهير الفقهاء من الحنفية والشافعية والحنابلة من أن صلاة التراويح عشرين ركعة دون الوتر، وهو ما اتفق عليه الصحابة والتابعون حتى صار كالإجماع، وقد أحسن مشايخنا الكرام بالأزهر حينما جعلوا الصلاة فيه بعشرين ركعة العام المنصرم، نسأل الله تعالى لنا ولهم السداد والتوفيق.... وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

عزاء واجب

تُوفي إلى رحمة الله تعالى يوم الجمعة ٢٠ شعبان ١٤٤٥هـ، الحاج/ عبد الحميد الحسيني عبد الوهاب، شقيق المرحوم الشيخ/ أحمد الحسيني، ووالد زوجة الأستاذ المستشار/ محمد شحاته محمد المحامي بالمركز العام.

وتتقدم أسرة المركز العام بخالص العزاء لأسرته، سائلين الله تعالى له المغفرة والرحمة، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

إنا لله وإنا إليه راجعون

تُوفي إلى رحمة الله تعالى في شهر فبراير الماضي، الأستاذ/ أحمد رجب أحمد منصور، هو وزوجته وابنه وابنتيه، وهو ابن الشيخ/ رجب أحمد منصور رئيس فرع أسكر بالصف محافظة الجيزة.

وتتقدم أسرة المركز العام بخالص العزاء للأسرة، سائلين الله تعالى لهم المغفرة والرحمة، ولا نقول إلا ما يرضي ربنا: إنا لله وإنا إليه راجعون.

وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ

إعداد **الشيخ صلاح عبد الخالق**

الحمد لله، وكفى والصلاة والسلام على النبي المصطفى، وبعد:

فقد قال تعالى في وسط آيات الصيام: « وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِى وَلْيُؤْمِنُوا بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ » (البقرة: ١٨٦). هيا نحاول أن نعيش مع اسم الله القريب.

أولاً: معنى اسم الله القريب:

(١) قال تعالى: «وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ» ق: ١٦.

-الْوَرِيدُ الْوَتِينُ وَهُوَ عِرْقٌ مُعَلَّقٌ بِالْقَلْب. وَهَذَا بيان لِلْقُرْب؛ أَيْ نَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْه مِنْ حَبْل وَرِيده الَّذِي هُوَ مِنْهُ، وَلَيْسَ عَلَى وَجْه قُرْب الْمَسَافَة وَقِيلَ: أَيْ وَنَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا تُوَسْوِسُ بِه نَفْسُهُ مِنْ حَبْل وَرِيده الَّذِي هُوَ مِنْ نَفْسه، فَعِلْمُ الرَّبِّ أَقْرَبُ إِلَيْه مِنْ عِلْم الْقَلْب، وَهَذَا الْقُرْبُ قُرْبُ الْعِلْم وَالْقُدْرَة وَأَبْعَاض الْإِنْسَان يَحْجُبُ البعض البعض ولا يحجب علم الله شيء. (تفسير القرطبي ١٧/٩).

فالمقصود من الآية الكريمة: بيان أن علم الله تعالى بأحوال الإنسان، أقرب إلى هذا الإنسان، من أعضائه ومن دمائه التي تسري في تلك الأعضاء. (التفسير الوسيط لطنطاوي ١٣/٣٤١).

(٢) عَنْ أَبِي مُوسَى، قَالَ: كُنَّا مَعَ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم في سَفَر، فَكُنَّا إذا عَلَوْنَا كَبَّرْنَا، فَقَالَ: «ارْبَعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، فَإِنَّكُمْ لاَ تَدْعُونَ أَصَمَّ

وَلاَ غَائِبًا، تَدْعُونَ سَمِيعًا بَصِيرًا قَرِيبًا» صحيح البخاري (٧٣٨٦)، صحيح مسلم (٢٧٠٤).

"ارْبَعُوا" مَعْنَاهُ ارْفُقُوا بِأَنْفُسِكُمْ وَاخْفِضُوا أَصْوَاتَكُمْ؛ فَإِنَّ رَفْعَ الصَّوْتِ إِنَّمَا يَفْعَلُهُ الْإِنْسَانُ لِبُعْدِ مَنْ يُخَاطِبُهُ لِيُسْمِعَهُ وَأَنْتُمْ تدعون الله تعالى وليس هو بأصم ولا غائب، بَلْ هُوَ سَمِيعٌ قَرِيبٌ، وَهُوَ مَعَكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْإِحَاطَةِ فَفِيهِ النَّدْبُ إِلَى خَفْضِ الصَّوْتِ بِالذِّكْرِ إِذَا لَمْ تَدْعُ حَاجَةٌ إِلَى رَفْعِهِ فَإِنَّهُ إِذَا خَفَضَهُ كَانَ أَبْلَغَ فِي تَوْقِيرِهِ وَتَعْظِيمِهِ. (شرح النووي ١٧/٢٦).

ثانيا: أنواع القرب: "القريب أي: هو القريب من كل أحد، وقربه نوعان:

قرب عام من كل أحد بعلمه، وخبرته، ومراقبته، ومشاهدته واحاطته وهو أقرب إلى الإنسان من حبل الوريد. وقرب خاص من عابديه، وسائليه، ومحبيه، وهو قرب يقتضي المحبة، والنصرة، والتأييد في الحركات، والسكنات والإجابة للداعين، والقبول، والإثابة. وهو المذكور في قوله تعالى: «وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ» (العلق: ١٩). وفي قوله: «إِنَّ رَبِّي قَرِيبٌ مُجِيبٌ» (هود: ٦١). وفي قوله: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ» (البقرة: ١٨٦).

وهذا النوع قرب يقتضي ألطافه تعالى، واجابته لدعواتهم، وتحقيقه لمراداتهم ولهذا يقرن باسمه "القريب" اسمه "المجيب" وهذا القرب قربه لا تدرك له حقيقة، وإنما تعلم آثاره من لطف بعبده، و عنايته به وتوفيقه، وتسديده، ومن آثاره الإجابة للداعين والإثابة للعابدين" تفسير أسماء الله الحسنى (٢٢٢)

ثالثا: المعايشة الإيمانية لاسم الله القريب منها مثلا:

(١) اقترب من الله بأداء الفرائض والنوافل يقترب الله إليك بالمحبة: عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "إِنَّ اللَّهَ قَالَ: مَنْ عَادَى لِي وَلِيًّا فَقَدْ آذَنْتُهُ بِالحَرْبِ وَمَا تَقَرَّبَ إِلَيَّ عَبْدِي بِشَيْءٍ أَحَبَّ إِلَيَّ مِمَّا افْتَرَضْتُ عَلَيْهِ، وَمَا يَزَالُ عَبْدِي يَتَقَرَّبُ إِلَيَّ بِالنَّوَافِلِ حَتَّى أُحِبَّهُ، فَإِذَا أَحْبَبْتُهُ: كُنْتُ سَمْعَهُ الَّذِي يَسْمَعُ بِهِ، وَبَصَرَهُ الَّذِي يُبْصِرُ بِهِ، وَيَدَهُ الَّتِي يَبْطِشُ بِهَا، وَرِجْلَهُ الَّتِي يَمْشِي بِهَا، وَإِنْ سَأَلَنِي لَأُعْطِيَنَّهُ، وَلَئِنِ اسْتَعَاذَنِي لَأُعِيذَنَّهُ "صحيح البخاري (٦٥٠٢).

والمقصود من قوله تعالي:(كنت سمعه... الحديث)، تَوْفِيقُ اللَّه لِعَبْدِهِ فِي الْأَعْمَالِ الَّتِي يُبَاشِرُهَا بِهَذِهِ الْأَعْضَاءِ وَتَيْسِيرُ الْمَحَبَّةِ لَهُ فِيهَا بِأَنْ يَحْفَظَ جَوَارِحَهُ عَلَيْهِ وَيَعْصِمَهُ عَنْ مُوَاقَعَةِ مَا يَكْرَهُ اللَّهُ مِنَ الْإِصْغَاءِ إِلَى اللَّهْوِ بِسَمْعِهِ وَمِنَ النَّظَرِ إِلَى مَا نَهَى اللَّهُ عَنْهُ بِبَصَرِهِ وَمِنَ الْبَطْشِ فِيمَا لَا يَحِلُّ لَهُ بِيَدِهِ وَمِنَ السَّعْيِ إِلَى الْبَاطِلِ بِرِجْلِهِ. (فتح الباري ١١/٣٤٤).

(ولئن سألني لأعطينه) أنه إذا سأل الله

أعطاه. (ولئن استعاذني) يعني استجار بي مما يخاف من شره (لأعيذنه) أن يُسدد الإنسان ﬁ أقواله وأفعاله.

(٢) كلما اقتربت من الله تعالى بالطاعة كان أقرب إليك بالثواب والرحمة: «عَنْ أَبِي ذَرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "يَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا وَأَزِيدُ، وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَجَزَاؤُهُ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا أَوْ أَغْفِرُ وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي شِبْرًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ مِنِّي ذِرَاعًا تَقَرَّبْتُ مِنْهُ بَاعًا، وَمَنْ أَتَانِي يَمْشِي أَتَيْتُهُ هَرْوَلَةً، وَمَنْ لَقِيَنِي بِقُرَابِ الْأَرْضِ خَطِيئَةً لَا يُشْرِكُ بِي شَيْئًا لَقِيتُهُ بِمِثْلِهَا مَغْفِرَةً» صحيح مسلم (٢٦٨٧)، صحيح البخاري (٧٥٣٧).

(٣) اقترب من الله بسرعة التوبة يقترب الله منك بالمغفرة: قال تعالى: «إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا» (النساء: ١٧). (يَتُوبُونَ مِن قَرِيب)، بحيث لا يسترسل ﬁ الشر استرسالا، ويستمرئه ويكرره ويستمر عليه، وهؤلاء ممن قال الله تعالى فيهم: «وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ جَزَآؤُهُم مَّغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَجَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۚ وَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ» (آل عمران: ١٣٥-١٣٦). زهرة التفاسير ٣/ ١٦١٤).

-عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: "أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِمَنْ تَحْرُمُ عَلَيْهِ النَّارُ؟ قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ. قَالَ: " كُلُّ هَيِّنٍ لَيِّنٍ، قَرِيبٍ، سَهْلٍ" صَحِيحُ الْجَامِعِ (٢٦٠٩).

(قَرِيبٌ) أَيْ: مِنَ النَّاسِ بِمُجَالَسَتِهِمْ ﬁ مَحَافِلِ الطَّاعَةِ وَمُلَاطَفَتِهِمْ قَدْرَ الطَّاعَةِ (سَهْلٌ) أَيْ: ﬁ قَضَاءِ حَوَائِجِهِمْ، أَوْ مَعْنَاهُ أَنَّهُ سَمْحُ الْقَضَاءِ سَمْحُ الِاقْتِضَاءِ سَمْحُ الْبَيْعِ سَمْحُ الشِّرَاءِ عَلَى مَا وَرَدَ ﬁ فَضْلِ الْمُؤْمِنِ الْكَامِلِ. (مرقاة المفاتيح ٨/ ٣١٧٩).

(٤) اقترب من الله تعالى بالدعاء يقترب منك بالإجابة قال تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعْوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ فَلْيَسْتَجِيبُوا۟ لِى وَلْيُؤْمِنُوا۟ بِى لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ». (البقرة: ١٨٦).

وَعَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ أَنَّهُ قَالَ: مَا كَانَ قَوْمٌ أَقَلَّ سُؤَالًا مِنْ أُمَّةِ مُحَمَّدٍ صلى الله عليه وسلم سَأَلُوا عَنْ أَرْبَعَةَ عَشَرَ حَرْفًا فَأُجِيبُوا. (مفاتيح الغيب (٥/ ٢٨١) منها: «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْيَتَامَى قُلْ إِصْلَاحٌ لَهُمْ خَيْرٌ» (البقرة: ٢٢٠)، «وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْمَحِيضِ قُلْ هُوَ أَذًى (الْبَقَرَة: ٢٢٢).

وَفِي هَذِهِ الْآيَةِ قَالَ: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ»، وَلَمْ يَقُلْ فَقُلْ إِنِّي قَرِيبٌ فَتَدُلُّ عَلَى تَعْظِيمِ حَالِ الدُّعَاءِ: كَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يَقُولُ عَبْدِي أَنْتَ إِنَّمَا تَحْتَاجُ إِلَى الْوَاسِطَةِ ﬁ غَيْرِ وَقْتِ الدُّعَاءِ أَمَّا ﬁ مَقَامِ الدُّعَاءِ فَلَا وَاسِطَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، لَمْ يَقُلْ: فَالْعَبْدُ مِنِّي قَرِيبٌ، بَلْ قَالَ: أَنَا مِنْهُ قَرِيبٌ. مفاتيح الغيب (٥/ ٢٦٤).

من هذه الأدعية الجامعة مثلا:

-عَنْ عَائِشَةَ رضي الله عنها، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم، عَلَّمَهَا هَذَا الدُّعَاءَ: (اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنَ الْخَيْرِ كُلِّهِ عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ، مَا عَلِمْتُ مِنْهُ وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الشَّرِّ كُلِّهِ، عَاجِلِهِ وَآجِلِهِ مَا عَلِمْتُ مِنْهُ، وَمَا لَمْ أَعْلَمْ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ (مُحَمَّدٌ صلى الله عليه وسلم)، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ الْجَنَّةَ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ النَّارِ وَمَا قَرَّبَ إِلَيْهَا مِنْ قَوْلٍ أَوْ عَمَلٍ، وَأَسْأَلُكَ أَنْ تَجْعَلَ كُلَّ قَضَاءٍ تَقْضِيهِ لِي خَيْرًا. صحيح الجامع " (١٢٧٦).

والحمد لله رب العالمين.

واحة التوحيد

من نور كتاب الله

رمضان شهر الدعاء

قال الله تعالى: «وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ» (البقرة: ١٨٦).

كيف يحافظ الصائم على صيامه؟

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "وإذا كان يَوْمُ صَوْمِ أحدِكُمْ فلا يَرْفُثْ ولا يَصْخَبْ، فإنْ سابَّهُ أحدٌ أوْ قاتَلَهُ، فلْيقلْ: إنّي امْرُؤٌ صائِمٌ".

(أخرجه البخاري ١٩٠٤).

من فضائل شهر رمضان

رمضان شهر الخيرات

عن أبي هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "إذا كان أَوَّلُ ليلةٍ من شهرِ رمضانَ صُفِّدَتِ الشَّياطينُ ومَرَدةُ الجِنِّ، وغُلِّقَتْ أبوابُ النَّارِ، فلم يُفتَحْ منها بابٌ، وفُتِّحتْ أبوابُ الجنَّةِ فلم يُغلَقْ منها بابٌ، ويُنادي منادٍ: يا باغيَ الخيرِ أقبِلْ، ويا باغيَ الشَّرِّ أقصِرْ، ولله عُتقاءُ من النَّارِ، وذلك كلَّ ليلةٍ" (أخرجه الترمذي ٦٨٢، وابن ماجه ١٦٤٢، صححه الألباني).

دعاء رؤية الهلال

عن طلحة بن عبيد الله أن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا رأى الهلال قال: "اللهم أهلَّه علينا بالأمن والإيمان، والسلامة والإسلام: ربي وربك الله".

(صحيح الترمذي)

رمضان شهر الصيام والقرآن

عن عبد الله بن عمرو أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "الصيام والقرآن يشفعان للعبد؛ يقول الصيام: أي رب إني منعته الطعام والشهوات بالنهار فشفِّعني فيه، ويقول القرآن: منعته النوم بالليل فشفِّعني فيه؛ فيُشفَّعان.

(صحيح الجامع)

إعداد : علاء خضر

رمضان شهر المغفرة

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: رَغِمَ أنفُ رجلٍ دخلَ عليه رمضانُ ثمَّ انسلخَ قبلَ أن يُغفَرَ له

(صحيح الترمذي ٣٥٤٥).

ليلة القدر في أي ليالي رمضان؟

طعن عائشة رضي الله عنها: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: تَحَرَّوْا لَيْلَةَ القَدْرِ في الوِتْرِ مِنَ العَشْرِ الأَواخِرِ مِن رَمَضانَ.

(صحيح البخاري: ٢٠١٧)

رمضان شهر الجود والكرم

عن زيد بن خالد الجهني قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: " من فطّر صائمًا كان لهُ مثلُ أجرِه غيرَ أنَّهُ لا ينقصُ من أجرِ الصائمِ شيءٌ"

(رواه الترمذي ٨٠٧، وصححه الألباني).

حقيقة الصيام

عن الشعبي قال: قال عمر: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، ولكنه من الكذب والباطل واللغو والحلف.

(مصنف ابن أبي شيبة)

من هدي النبي صلى الله عليه وسلم في العشر الأواخر من رمضان

عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يجتهدُ في العشرِ الأواخرِ، ما لا يَجتهدُ في غيرِه. (صحيح مسلم ١١٧٥).

من أخطاء بعض الصائمين وعلاجها

إعداد
د. عبد القادر فاروق
موجه بمجمع البحوث وعضو لجنة الفتوى بالمعادي سابقا

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد: نذكر في هذا المقال أبرز الأخطاء التي قد يقع فيها بعض الصائمين وعلاجها، فنقول وبالله تعالى التوفيق:

أولا: تنبيهات مهمة لبعض الصائمين يجب تجنبها

١- جَعْل الليل نهاراً والنهار ليلاً.

٢- النوم عن بعض الصلوات المكتوبة.

٣- الإسراف في المأكل والمشرب.

٤- الانفعال من بعض الموظفين والعصبية من بعض السائقين والبائعين وغيرهم، ووقوع السب والشتم من البعض، بل بعضهم يسب الدين في رمضان، وقد أفتى فضيلة الشيخ عبد المجيد سليم -رحمه الله تعالى- شيخ الأزهر «بأنَّ من يلعن الدين كافر مرتد عن دين الإسلام بلا خلاف» (الفتاوى الإسلامية من دار الإفتاء المصرية ١/ ٨٤، فتوى رقم ٦٦٢ سجل ٣٨ بتاريخ ٦/ ٢/ ١٩٣٤م).

٥- إضاعة الأوقات في مشاهدة المباريات والأفلام والسهر فيما لا يفيد، والانشغال بالألعاب الإلكترونية ومواقع التواصل الاجتماعي والواتس آب.

والتعامل مع هذه الوسائل الحديثة يكون بحكمة وضوابط شرعية، عَنْ أَبِي هُرَيْرَة رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّه صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّمَ: الْمُؤْمِنُ الْقَوِيُّ، خَيْرٌ وَأَحَبُّ إِلَى اللَّه من الْمُؤْمِن الضَّعِيف، وَفِي كُلٍّ خَيْرٌ احْرِصْ عَلَى مَا يَنْفَعُكَ، وَاسْتَعِنْ بِاللَّه وَلَا تَعْجَزْ، وَإِنْ أَصَابَكَ شَيْءٌ، فَلَا تَقُلْ لَوْ أَنِّي فَعَلْتُ كَانَ كَذَا وَكَذَا، وَلَكِنْ قُلْ قَدَرُ اللَّه وَمَا شَاءَ فَعَلَ، فَإِنَّ لَوْ تَفْتَحُ عَمَلَ الشَّيْطَانِ» صحيح مسلم ٤/ ٢٠٥٢.

(المؤمن القوي خير) المراد بالقوة هنا عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقدامًا على العدو في الجهاد وأسرع خروجًا إليه وذهابًا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والصبر على الأذى في كل ذلك واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة والصوم والأذكار وسائر العبادات، وأنشط طلبًا لها ومحافظة عليها ونحو ذلك، (وفي كل خير). معناه في كلٍّ من القوي والضعيف خير لاشتراكهما في الإيمان مع ما يأتي به الضعيف من العبادات. (احرص على ما ينفعك) معناه: احرص على طاعة الله تعالى والرغبة فيما عنده واطلب الإعانة من الله تعالى

على ذلك ولا تعجز ولا تكسل عن طلب الطاعة ولا عن طلب الإعانة.

٦- تبكير السحور والنوم عن صلاة الفجر.

٧- قيادة السيارة بسرعة جنونية قبل الإفطار.

٨- عدم تأدية صلاة التراويح كاملة. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إنَّهُ مَنْ قامَ مَعَ الإمام حَتَّى يَنْصرف كُتبَ لَهُ قِيامُ لَيْلة» قال الأعظمي: إسناده صحيح. صحيح ابن خزيمة ٣/٣٣٧.

٩- افتراش الأرصفة واجتماع الشباب علي معصية الله عز وجل، مثل التدخين والإدمان والمخدرات ومعاكسة البنات؛ فعَنْ أبي هُرَيْرة رضي الله عنه «أنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم صَعد المْنبرَ فقالَ: "آمينْ، آمينْ، آمينْ". قيل: يا رسول الله صلى الله عليه وسلم إنَّكَ صَعدْتَ المْنبرَ، فقُلْتَ: " آمينْ، آمينْ، آمينْ"، فقال: إنَّ جبْريل-عليْه السَّلامُ- أتاني فقال لي: مَنْ أَدْرَكَ شَهْرَ رمضان فلم يُغفَرْ له فدخل النَّار فأبْعدَهُ الله، قلْ: آمينْ، فقُلْتُ: آمينْ. ومَنْ أدْرَكَ أبَويْه أوْ أحدَهُما فلمْ يبرَّهما فمات فدخل النَّار فأبْعدَهُ الله، قُلْ آمينْ، فقُلْتُ: آمينْ. ومَنْ ذُكرْتَ عِنْدَهُ فلَمْ يُصلِّ عليْك فماتَ فدخل النَّارَ فأبْعدَهُ الله، قُلْ آمينْ، فقُلْتُ: آمينْ» إسناده حسن(موارد الظمآن إلى زوائد ابن حبان للهيثمي ٦/٣٤٨). و(رغم أنف): أي ذُل وهان وخاب وخسر من أتته فرصة شهر رمضان ولم يغتنمه في طاعة الله تعالى.

فاحذر من دعوة جبريل-عليه السلام- ومن تأمين النبي الكريم-عليه الصلاة والسلام- فدعوتهما مستجابة ولا بد.

وعَنْ أبي هُرَيْرَة-رَضيَ الله عَنْهُ- قالَ: قال رَسُولُ الله صَلى الله عَليْه وَسَلمَ: «مَنْ لَمْ يدَعْ قَوْلَ الزور وَالعَمَلَ به، فَليْسَ لله حَاجَةٌ في أنْ يدَعَ طعَامَهُ وَشرابَهُ» صحيح البخاري ٣/٢٦.
و(الزور) الكذب والميل عن الحق والعمل بالباطل والتهمة. (العمل به) العمل بمقتضاه مما نهى الله عنه. (فليس لله حاجة) أي إن الله تعالى لا يلتفت إلى صيامه ولا يقبله.

١٠- الاجتماع مع زملاء العمل وقت العمل وتجريح الصيام بالغيبة والنميمة.

١١- ابتعد عن التدخين؛ لأنه حرام وضار، واجعل الصوم مُعينًا لك على ترك التدخين بإذن الله تعالى، وكن صادقًا، وتضرع إلى الله تعالى بالدعاء وأنت صائم وفي وقت السَّحر، وثلث الليل الأخير فإن الدعوة مستجابة.

١٢- ابتعد عن سوء الخُلُق؛ لأنه ينسف الحسنات نسفًا، عَنْ ابْنِ عُمَرَ- رضي الله عنهما- قَالَ: قَالَ رَسُولُ الله صلى الله عليه وسلم: "إنَّ سُوءَ الْخُلُقِ لَيُفْسِدُ الْعَمَلَ، كَمَا يُفْسِدُ الْخَلُّ الْعَسَلَ" (صَحِيح الْجَامع: ١٧٦، الصَّحيحَة: ٩٠٦).

ثانيا: العلاج: وصفة طبية للقلب لمن أراد الاستقامة

اجعل رمضان بدايةً لك في أعمال الخير فإذا أردت الاستقامة فعليك بهذه الوصايا:

١) تقوى الله تعالى بفعل الطاعات واجتناب المعاصي، وأنْ تجعل بينك وبين عذاب الله جدارًا حصينًا لا تستطيع أنْ تتعداه والتقوى هي علة فرضية الصيام. «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣).

٢) حافظ على جميع الصلوات في المسجد جماعة.

٣) ابتعد عن قرناء وصحبة السوء.

٤) البعد غن سموم وسائل الإعلام وتجنب سماع الأغاني والمجون ومشاهدة الأفلام والمسلسلات.

٥) أكثر من قراءة القرآن الكريم وتدبره؛ لأن المقصود أنْ تفهم عن الله رب العالمين حتى تعمل ويكون القرآن حجة لك لا عليك.

عَنْ جُبَيْرِ بْنِ نُفَيْرٍ، قَالَ: سَمعْتُ النَّوَّاسَ بْنَ سَمْعَانَ الْكِلَابِيَّ، يَقُولُ: سَمعْتُ النَّبِيَّ صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ، يَقُولُ: «يُؤْتَى بِالْقُرْآنِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَأَهْلِهِ الَّذِينَ كَانُوا يَعْمَلُونَ بِهِ تَقْدُمُهُ سُورَةُ الْبَقَرَةِ، وَآلُ عِمْرَانَ»، وَضَرَبَ لَهُمَا رَسُولُ الله صَلى الله عَلَيْه وَسَلمَ ثَلَاثَةَ أَمْثَالٍ مَا نَسِيتُهُنَّ بَعْدُ، قَالَ: «كَأَنَّهُمَا غَمَامَتَانِ، أَوْ ظُلَّتَانِ سَوْدَاوَانِ بَيْنَهُمَا شَرْقٌ، أَوْ كَأَنَّهُمَا حِزْقَانِ مِنْ طَيْرٍ صَوَافَّ، تُحَاجَّانِ عَنْ صَاحِبِهِمَا» صحيح مسلم ١/٥٥٤.

قوله: (الذين كانوا يعملون به) دليل على أن

من قرأ القرآن ولم يعمل به لا يكون له القرآن شفيعًا بل يكون حجة عليه (أو ظلتان) بالضم، أي سحابتان (سوداوان) لكثافتهما وارتكام البعض منهما على بعض، وذلك من المطلوب في الظلال (بينهما شرق) بفتح الشين وسكون الراء وتفتح، أي ضوء ونور، والشرق هو الشمس يعني أنهما مع الكثافة لا يستران الضوء، وقيل: الشرق الشق، وهو الانفراج أي بينهما فرجة وفصل كتميزهما بالبسملة في المصحف (حزقان) بكسر فسكون مثل فرقان وزنًا ومعنى أي قطيعان وطائفتان. (منة المنعم في شرح صحيح مسلم، الشارح: فضيلة الشيخ/صفي الرحمن المباركفوري ١/٥٠٦).

٦) أكثر من الدعاء أثناء صومك وقبل فطرك وفي ثلث الليل الأخير فالدعوة مستجابة بإذن الله تعالي في هذه الأوقات.

٧) جاهد نفسك في البداية مجاهدة صادقة واصبر على ذلك.

٨) تعرَّف على رفقة صالحة تُعينك علي الخير وتذكرك بالله

٩) البعد عن الإسراف في الطعام والشراب؛ لأنه حرام.

١٠) ابتعد عن البخل وكن كريمًا؛ لأنَّ رمضان هو شهر الجود والكرم.

١١) الحذر من تبرج النساء؛ لأنه من كبائر الذنوب فهي متوعدة بالنار إنْ لم يتب عليها العزيز الغفار. والحجاب الشرعي "وأقله الخمار" فريضة علي المرأة المسلمة بالكتاب والسُّنَّة وإجماع الأمة كالصلاة والصيام، وعلى المرأة في شهر رمضان خاصة الحذر من قضاء أوقات كثيرة في المطبخ، فتقضي غالب وقتها وتتكاسل عن أداء الصلاة، وتنشغل عن ذكر الله تعالى وقراءة القرآن الكريم، ويفوتها بذلك الأجر العظيم المترتب على ذلك، والواجب عليها أنْ تُقلل من كثرة أصناف الطعام، وأنْ تستغل وقتها في سماع القرآن الكريم وقراءة الكتب المفيدة، والاستماع للبرامج الإسلامية الهادفة أثناء تواجدها بالمطبخ وعليها عدم حرمان نفسها من صلاة التراويح.

١٢) ينبغي للمرأة إذا حاضت أو نفست أنْ لا تفتر عن ذكر الله تعالى، وتلاوة القرآن لكنها تُمسك المصحف بحائل، ومن الممكن أنْ تقرأ في المصحف الإلكتروني على الهاتف

قال شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله: "وإنما تنازعوا في قراءة القرآن وليس في منعها من القرآن سُنَّة أصلًا فإن قوله: «لا تقرأ الحائض ولا الجنب شيئًا من القرآن» حديث ضعيف، باتفاق أهل المعرفة بالحديث... وقد كان النساء يحضن على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم فلو كانت القراءة محرمة عليهن كالصلاة لكان هذا مما بينه النبي صلى الله عليه وسلم لأمته وتعلمه أمهات المؤمنين وكان ذلك مما ينقلونه إلى الناس فلما لم ينقل أحد عن النبي صلى الله عليه وسلم في ذلك نهيًا لم يجز أن تجعل حرامًا مع العلم أنه لم ينه عن ذلك وإذا لم ينه عنه مع كثرة الحيض في زمنه علم أنه ليس بمحرم". مجموع الفتاوى٢٦/١٩١.

وقال أيضًا: " ولهذا يجوز الشافعي وأحمد للجنب المرور في المسجد بخلاف قراءة القرآن فإن الأئمة الأربعة متفقون على منعه من ذلك، ونهى الجنب لأن الجنب يمكنه أن يتطهر ويقرأ بخلاف الحائض؛ تبقى حائضًا أيامًا فيفوتها قراءة القرآن تفويت عبادة تحتاج إليها مع عجزها عن الطهارة" مجموع الفتاوى ٢١/٤٦١،٣٤٤.

ثالثًا: إذا طبَّقنا هذه الوصايا بإذن الله تعالى سنكون من عباد الله الصالحين المستقيمين: قال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» (الأحقاف: ١٣-١٤)، وقال تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ» (فصلت: ٣٠-٣٢).

وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه أجمعين.

خُلق الكرم والجود

إعداد م/محمد ياسين بدر حسين النجار
عضو مجلس إدارة المركز العام
ومدير المشروعات

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد:

فما يزال حديثنا عن أخلاق ديننا... وحديثنا اليوم عن خُلق (الكرم والجود).

والكريم من أسماء الله الحسنى... والجود والكرم من صفاته العلى، قال سبحانه: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلْإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلْكَرِيمِ ﴿٦﴾ ٱلَّذِى خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ﴿٧﴾ فِىٓ أَىِّ صُورَةٍ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ» (الانفطار: ٦-٨).

وقد رغبنا الله جل جلاله في الكرم... قال-تعالى-: (مَثَلُ الذينَ يُنفقُونَ أموالَهُمْ في سَبيلِ الله كمَثَلِ حَبَّةٍ أنْبَتَتْ سَبْعَ سنابلَ في كُلِّ سُنْبُلَةٍ مائَةُ حَبَّةٍ واللهُ يُضاعِفُ لمَنْ يشاءُ واللهُ واسِعٌ عليمٌ). (البقرة ٢٦١)

والكرم من صفات الملائكة: قال تعالى في وصفهم: «كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ ﴿٩﴾ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لَحَٰفِظِينَ ﴿١٠﴾ كِرَامًا كَٰتِبِينَ ﴿١١﴾ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ» (الانفطار: ٩-١٢).

وقد كان نبينا صلى الله عليه وسلم من أكرم الخلق... فعن أنس بن مالك-رضي الله عنه- قال: (ما سُئلَ رَسولُ اللهِ-صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ- على الإسْلامِ شيئًا إلَّا أعْطاهُ، قالَ: فَجاءَهُ رَجُلٌ فأعْطاهُ غَنَمًا بيْنَ جَبَلَيْنِ، فَرَجَعَ إلى قَوْمِه، فَقالَ: يا قَوْمِ أسْلِمُوا، فإنَّ مُحَمَّدًا يُعْطِي عَطاءً لا يَخْشَى الفاقَةَ). رواه مسلمخ(٢٣٢١).

وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما قال: كان رَسولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ أجْوَدَ النَّاس، وكانَ أجوَدُ ما يكونُ في رَمَضانَ حينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ، وكانَ جِبْرِيلُ يَلْقاهُ في كُلِّ لَيْلَةٍ من رَمَضانَ، فيُدارِسُهُ القُرْآنَ، فلَرَسولُ اللَّه صَلَّى اللَّهُ عليه وسلَّمَ حينَ يَلْقاهُ جِبْرِيلُ أجْوَدُ بالخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ المُرْسَلَةِ. (رواه البخاري).

وفي هذا الحَديثِ يُخبرُ عَبدُ اللهِ بنُ عبَّاسٍ رَضيَ اللهُ عنهما أنَّ رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ كان أعظَمَ النَّاسِ وأكثَرَهم جُودًا على الإطْلاقِ، وكان جُودُه يَبلُغُ الغايةَ في شَهرِ رَمضانَ، والسَّببُ في زِيادةِ كرَمِه ومُضاعفةِ جُودِه، أمْرانِ:

الأوَّلُ: التقاؤه بالرُّوحِ الأمينِ جِبريلَ عليه السَّلامُ، وهو المَلَكُ المُوكَّلُ بالوحي

والأمرِ الآخَرُ: مُدارَسةُ القُرآنِ، وفي رِوايةٍ: «يُعارِضُه القُرآنَ»، والمُدارَسةُ والمُعارَضةُ بمَعنًى واحدٍ، وهو المُقابَلةُ في القراءةِ عن ظَهْرِ قلبٍ، فيُدارِسُه جميعَ ما نَزَلَ مِنَ القُرآنِ، يقولُ: فلَرسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ أكرَمُ وأكثَرُ عَطاءً وفِعلًا للخيرِ، وأعظَمُ نَفعًا للخَلقِ مِنَ الرِّيحِ الطَّيِّبةِ التي يُرسِلُها اللهُ بالغَيثِ والرَّحمةِ.

وقد وَرَدَ في الصَّحيحَيْنِ أنَّ جِبريلَ عليه السَّلامُ كان يُعارِضُ النَّبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّمَ بالقُرآنِ مَرَّةً واحِدةً كُلَّ عامٍ، حتى إذا كان العامُ الذي ماتَ فيه عارَضَه مَرَّتَيْنِ(البخاري(٦٢٨٥) ومسلم (٢٤٥٠)).

وفي الحَديثِ: الحَثُّ على الجُودِ في كُلِّ الأوقاتِ.

وفيه: زِيارةُ الصُّلَحاءِ وأهلِ الفَضلِ ومُجالَسَتُهم؛ لأنَّها سَبَبُ الخَيرِ والصَّلاحِ.

وفيه: الإكثارُ مِنَ البَذلِ والعَطاءِ والإحسانِ وقِراءةِ القُرآنِ في شهرِ رمَضانَ.

وفيه: فضلُ شهرِ رمضان.

وفيه: الحثُّ على مُدارسة القرآن.

واعلم أن الجود والكرم من سمات الصحابة الكرام؛ فعلى هذا الخُلق الكريم ربَّى رسول الله صلى الله عليه وسلم أصحابه، فكانوا يتنافسون في الجود والكرم، ويتسابقون إلى البذل والعطاء، قال تعالى في وصفهم: «والَّذين تبوَّؤوا الدار والإيمان من قبلهم يحبُّون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة ممَّا أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة ومن يوق شُحَّ نفسه فأولئك هم المفلحون» (الحشر:٩).

وقد رغبنا نبينا صلى الله عليه وسلم في الكرم ورهبنا من البخل... قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: (ما من يوم يُصبحُ العبادُ فيه، إلا ملكان ينزلان، فيقول أحدُهما: اللهُمَّ أعطِ مُنفقًا خلفًا، ويقولُ الآخرُ: اللهُمَّ أعطِ مُمسكًا تلفًا). رواه البخاريح(١٠١٠).

وعن عبدالله بن عمر-رضي الله عنهما- عن النبي- صلى الله عليه وسلم- قال: (أحب الناس إلى الله أنفعهم للناس، وأحب الأعمال إلى الله عز وجل سرور يدخله على مسلم، أو يكشف عنه كربة، أو يقضي عنه دينا، أو تطرد عنه جوعًا...) السلسلة الصحيحةح(٩٠٦).

وها هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه يتصدق بماله كله في سبيل الله... فعن عمر بن الخطاب-رضي الله عنه- أمرنا رسول الله صلى الله عليه وسلم يوما أن نتصدق فوافق ذلك مالا عندي فقلت اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما فجئت بنصف مالي فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أبقيت لأهلك؟)، قلت: مثله، قال وأتى أبو بكر رضي الله عنه بكل ما عنده: فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: (ما أبقيت لأهلك؟)، قال: أبقيت لهم الله ورسوله، قلت: لا أسابقك إلى شيء أبدًا. صحيح سنن أبي داود ح(١٦٧٨).

وها هو عمر بن الخطاب رضي الله عنه... روى البخاري عن ابن عُمر رضي اللَّهُ عنهما: أن عمر بن الخطاب أصاب أرضًا بخيبر، فأتى النبيَّ صلى اللهُ عليه وسلم يستأمرُه فيها، فقال: يا رسول الله، إني أصبتُ أرضا بخيبر لم أصب مالا قطُّ أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: «إن شئتَ حبستَ أصلها، وتصدقتَ بها» قال: فتصدق بها عُمر، أنه لا يُباع ولا يُوهب ولا يُورث، وتصدق بها في الفقراء، وفي القُربى وفي الرقاب، وفي سبيل الله، وابن السبيل، والضيف لا جُناح على من وليها أن يأكل منها بالمعروف، ويُطعم غير متموِّل قال: فحدثتُ به ابن سيرين، فقال: غير متأثِّل (جامع) مالا ح(٢٧٣٧).

وها هو عثمان بن عفان رضي الله عنه، الذي قدم ماله لنصرة الإسلام وخدمة المسلمين، قام بتجهيز نصف جيش العسرة، الذي حثَّ النبيُّ على تجهيزه لغزوة تبوك، بثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها-أي بأكسيتها- وخمسين فرساً، وحمل ألف دينار في كمه ووضعها في حجر رسول الله حتى قال عليه الصلاة والسلام: (ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم) مرتين صحيح الترمذي وحسنه(٣٧٠١).

وعندما قدم الرسول صلى الله عليه وسلم، المدينة وليس بها ماءٌ يستعذب غير بئر رُومة، وكان صاحبها رجلٌ من بني غفار، سمِّيت باسمه، وكان يبيع ماءها، قال عليه الصلاة والسلام: (من يشتري بئر رُومة فيجعل دلوه مع دلاء المسلمين بخير له منها في الجنة)، فبادر عثمان رضي الله عنه بشرائها من صلب ماله، وجعلها للمسلمين. صحيح الترمذي وحسنه(٣٧٠٣).

وقد عُرف عليّ بن أبي طالب-رضي الله عنه- بكرمه، وسخائه؛ فكان قضاء حاجة الآخرين أحبَّ إلى قلبه مما في الأرض من ذهبٍ وفضة، وقد بلغت الأوقاف التي أوقفها أربعين ألف دينار، ورُوي عنه أنه قال: "ما أدري أي النعمتين أعظم عليّ منَّة: من رجلٍ بذل مُصاص وجهه إلي فرآني موضعاً لحاجته، وأجرى الله قضاءها أو يسره على يديّ، ولأن أقضي لامرئ مسلم حاجة أحب إلي من ملء الأرض ذهباً وفضة.

وأخيرًا... أجود الناس من جاد عن قلة، وصان وجه السائل عن المذلة.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

الغارة على رمضان

إعداد د. أحمد سليمان
رئيس فرع بلبيس

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسوله محمد صلى الله عليه وسلم، وبعد:
فإن الغارة على شهر رمضان منهج أهل الضلال والهوى والخلاعة، نعم إنها غارة على العبادة فيه بكل أنواع أسلحة الفتن والضلالات، واللهو والمغريات، والأفلام والمسلسلات، والفوازير والأحجيات، فإن ملوا من كل هذا شغلوهم بالطبخ والمأكولات.
في سلسلة لا متناهية من تضييع الأوقات، واهمال القربات، في شهر تميز بالعفو ومحو الزلات.

لما علم أعداء الله مكانة رمضان في الدين، سلطوا سهامهم على شهر رمضان، وأعدوا العدة للانقضاض على روح العبادة في هذا الشهر بأنواع المعاصي، أصبح الآن قدوم رمضان مجالا ومناسبة وفرصة للمعاصي بأنواعها، إنه مخطط منظم من أعداء الإسلام لتفريغ رمضان من محتوياته، ولأنه شهر توبة وعبادة فلا بد من الإغارة عليه بكل أنواع الإذاعة، ولا بد من تفريغه من محتوياته، ولا بد من منع تأثيره على الناس وعزل هذه الروح العظيمة في هذا الشهر عن الناس، لئلا يتنسموا حلاوة الطاعة، ويتذوقوا روح الاجتماع والجماعة، ويشهدوا صلاة القيام ويروحوا بين الأقدام في تهجد وقيام قد طال انتظاره.

إن المؤمنين يترقبون هذا الشهر الفضيل بفارغ الصبر والجد، وكلما اشتاق العبد لرمضان كلما دل على زيادة إيمانه، ففي رمضان تجتمع كثير من صنوف العبادة، ففي رمضان الجمع بين القيام والصيام واطعام الطعام وهي من أسباب دخول الجنان، وتلاوة القرآن وهي أقرب الطرق الموصلة إلى الرحمن، فهو شهر القرآن والذكر وحفظ الجوارح والأركان.

فالصائم كما هو مأمور بترك المفطرات الحسية من الطعام والشراب وسائر المفطرات، فهو أيضا مأمور بحفظ الجوارح عن المنهيات، وغالب الناس يحافظ على ترك ما يفطره من المفطرات المعلومة لأن الصيام في الأصل هو التعبد لله تعالى بترك المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس، لكن الكثير يغفل عما يفسد صومه ويقطع عليه أجره؛ فيقع في المنكرات، وينهمك في الملذات، ويسرف في المباحات، ويظن أنه قد صام صيامًا يرفعه يوم القيامة درجات، ولا يعلم أن الأجر على قدر التقوى، والثواب على قدر التحرز من الموبقات.

وقد تكلم أهل العلم على كل أنواع المفطرات وبينوا حكمها:

قال ابن المنذر: لم يختلف أهل العلم أن الله عَزَّ وَجَلَّ حرم على الصائم في نهار الصوم الرفث، وهو الجماع، والأكل، والشرب. وأجمع أهل

العلم على أن على من استقاء في نهار الصوم عامدا القضاء. الإشراف (٣/١٢٠).

وتصل المفطرات إلى ثمانية أقسام وهي:

١-الجماع: وإذا وقع في نهار رمضان من صائم يجب عليه الصوم، فعليه مع القضاء كفارة مغلظة وهي عتق رقبة، فإن لم يجد فصيام شهرين متتابعين، فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا.

٢- إنزال المني يقظة باستمناء أو مباشرة أو تقبيل أو ضم أو نحو ذلك.

٣- الأكل أو الشرب سواء كان نافعاً أم ضاراً كالدخان.

٤- حقن الإبر المغذية التي يُستغنى بها عن الطعام؛ لأنها بمعنى الأكل والشرب. فأما الإبر التي لا تغذي؛ فلا تفطر سواء استعملها في العضلات أم في الوريد، وسواء وجد طعمها في حلقه أم لم يجده.

٥ - حقن الدم مثل أن يحصل للصائم نزيف فيحقن به دم تعويضا عما نزف منه.

٦- خروج دم الحيض والنفاس.

٧ - إخراج الدم بالحجامة ونحوها. وهي مسألة خلافية بين أهل العلم لكن احتياطا تترك خروجًا من الخلاف.

٨ - القيء إن قصده، فإن قاء بغير قصد لم يفطر.

فهذه الأنواع مما تكلم عليها أهل العلم ليجتنبها الصائم، لكن لا بد أن يعلم أن المقصود من ترك كل هذه المفطرات والتنزه عنها لتحقيق التقوى والامتثال لأمر الله تعالى.

قال ابن القيم: المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدتها وسورتها، ويذكرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين.

وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمر لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم. زاد المعاد (٢/٢٦).

فلا بد للعاقل أن يعرف الحكمة والغاية من العبادة، فلا يكن يوم صومه كيوم فطره، بل يستعد لشهره استعداد العابدين، ويترك طريق الغافلين، ويسلك مسلك المجتهدين، فلا يرى إلا مع العابدين، ولا يجلس في مجالس اللهو مع اللاهين ولا يشارك في باطل مما يدور في الميادين

ولا ينطق بباطل وإن جهل عليه جاهل فليرد عليه بقوله: إني صائم فلا أفسد حرمة اليوم. هذا هو الدين القويم.

وقد بيّن النبي صلى الله عليه وسلم حقيقة الصيام، وأنه وقاية للعبد من اللغو والرفث، وجُنّة من الجهل والسفه، وأن الصائم إن لم يحافظ على صيامه من المعاصي فالله غني عن جوعه وظمئه واحتياجه.

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالعَمَلَ بِهِ، فَلَيْسَ لِلَّهِ حَاجَةٌ فِي أَنْ يَدَعَ طَعَامَهُ وَشَرَابَهُ» صحيح البخاري (١٩٠٣).

قال شيخ الإسلام: الله تعالى أمر بالصيام لأجل التقوى، وقد قال صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه»؛ فإذا لم تحصل له التقوى لم يحصل له مقصود الصوم فينقص من أجر الصوم بحسب ذلك.

والأعمال الصالحة لها مقصودان: حصول الثواب، واندفاع العقاب.

فإذا فعلها مع المنهيات من الغيبة والنميمة وأكل الحرام وغيره فاته الثواب.

فقول الأئمة: لا يفطر، أي لا يُعاقب عقاب المعلن بالفطر.

ومن قال: إنه يفطر بمعنى أنه لم يحصل له مقصود الصوم أو قد يذهب بأجر الصوم فقوله موافق لقول الأئمة. مختصر الفتاوى المصرية (١/٢٨٩).

ونقل الحافظ عن السبكي الكبير قوله: الرفث والصخب وقول الزور والعمل به، مما علم النهي عنه مطلقًا والصوم مأمور به مطلقًا، فلو كانت هذه الأمور إذا حصلت فيه لم يتأثر بها لم يكن

لذكرها فيه مشروطة فيه معنى يفهمه. فلما ذكرت في هذين الحديثين نبهتنا على أمرين أحدهما: زيادة قبحها في الصوم على غيرها. والثاني: البحث على سلامة الصوم عنها وأن سلامته منها صفة كمال فيه وقوة الكلام تقتضي أن يقبح ذلك لأجل الصوم، فمقتضى ذلك أن الصوم يكمل بالسلامة عنها.

قال: فإذا لم يسلم عنها نقص. ثم قال: ولا شك أن التكاليف قد ترد بأشياء وينبه بها على أخرى بطريق الإشارة وليس المقصود من الصوم العدم المحض كما في المنهيات، لأنه يشترط له النية بالإجماع، ولعل القصد به في الأصل الإمساك عن جميع المخالفات، لكن لما كان ذلك يشق خفف الله وأمر بالإمساك عن المفطرات ونبه الغافل بذلك على الإمساك عن المخالفات وأرشد إلى ذلك ما تضمنته أحاديث المبين عن الله مراده فيكون اجتناب المفطرات واجبًا، واجتناب ما عداها من المخالفات من المكملات. فتح الباري (٤/١٠٤).

فالأئمة -رحمهم الله- تكلموا على كل مسألة يترتب عليها الفطر والقضاء والكفارة ولم يهملوا جانب التقوى في العبادة، وأن العابد لا بد أن يتمسك بالطاعة حال تلبسه بالعبادة وإلا فما فائدة العبادة إن لم تحقق التقوى والامتثال والهداية والقناعة.

فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى، كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ (البقرة: ١٨٣)؛ وقال النبي صلى الله عليه وسلم: «والصَّوْمُ جُنَّة» البخاري (٧٤٩٢)، وأمر من اشتدت عليه شهوة النكاح ولا قدرة له عليه بالصيام، وجعله وجاء هذه الشهوة.

والمقصود أن مصالح الصوم لما كانت مشهودة بالعقول السليمة والفطر المستقيمة؛ شرعه الله لعباده رحمة بهم، وإحسانا إليهم وحمية لهم وجنة. زاد المعاد (٢/٢٧-٢٨)

وقال ابن الملقن: حكم الصائم الإمساك عن الرفث وقول الزور، كما يمسك عن الطعام والشراب، وإن لم يمسك عن ذلك فقد نقص صيامه، وتعرّض لسخط ربه تعالى وترك قبوله منه، وليس معناه أن يؤمر بأن يدع صيامه إذا لم يدع قول الزور، وإنما معناه التحذير من قول الزور، وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم: "من باع الخمر فليشقص الخنازير" يريد: أي: يذبحها. ولم يأمره بشقصها ولكنه على التحذير والتعظيم لإثم شارب الخمر، فكذلك حذر الصائم من قول الزور والعمل به ليتم أجر صيامه.

وفي كتاب "الرقاق" لابن المبارك عن ابن جريج قال: قال سليمان بن موسى عن جابر: إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك عن الكذب، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار وسكينة يوم صومك، ولا تجعل يوم صومك وفطرك سواء. التوضيح (١٣/٧٧)

وورد عن عمر قوله: ليس الصيام من الطعام والشراب وحده، لكنه من الكذب والباطل واللغو. رواه ابن أبي شيبة (٨٨٨٥).

نعم الصحيح من أقوال الفقهاء أن الغيبة والنميمة واللغو لا تفطر الصائم، لكن شتان بين صيام وصيام، وقيام وقيام، وصلاة وصلاة.

قال ابن الملقن: وكذا قال ابن بطال: اتفق جمهور الفقهاء على أن الصائم لا يفطره السبّ والشتم والغيبة، وإن كان مأمورًا أن يُنزه صيامه عن اللفظ القبيح، ثم نقل عن الأوزاعي أنه يفطره السبّ والغيبة، واحتج بما روي أن الغيبة تفطر الصائم، وكذا قال القرطبي.

قال: وبه قال الحسن فيما أحسب. وقال ابن القصار: معناه: أنه يصير في معنى المفطر في سقوط الأجر لا أنه أفطر في الحقيقة. التوضيح (١٣/٧٧)

فالمقصود الأعظم من الصيام تحقيق التقوى؛ لأن النفس إذا انقادت للامتناع عن الحلال طمعًا في مرضاة الله، وخوفًا من أليم عقابه، فمن باب أولى أن تنقاد للامتناع عن الحرام، فكان الصوم سببًا للتقوى.

نسأل الله تعالى أن يُبلّغنا رمضان، وأن يرزقنا صومه وقيامه والفوز برضوانه سبحانه.

وصل اللهم وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

رمضانيات

المقاصد التشريعية لصوم شهر رمضان

إعداد **د. محمد عبد العزيز**
رئيس فرع العاشر

الحمد لله وكفى، والصلاة والسلام على رسوله الذي اصطفى، ومن تبع هديه واقتفى، وبعد:

فإن الله تعالى خلق الثقلين الجن والإنس لغاية ومقصد بيَنه أوضح بيان في كتابه العظيم، فقال: « وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ » (الذاريات: ٥٦- ٥٨)؛ فهو من باب الحصر والقصر، وهو من باب حصر الموصوف-وهو الجن والإنس- على وصف هو علة خلقهم، وهو قوله: «إلا ليعبدون»، أي: إلا ليعبدوني إرادة ومشيئة واختيارا لا قهرا وتسخيرا واضطرارا، وهذا من مشيئة الله الشرعية لا من مشيئته الكونية. فالله تعالى غنيّ عن عباده، غنيّ عن عبادتهم، خيره إليهم نازل، ونعمه عليهم سابغة لا تحصى، وإنما افترض عليهم ذلك وابتلاهم به واختبرهم به لنفعهم في معاشهم ومعادهم، في دنياهم وأخراهم.

وهذه العبادات والتكاليف والشرائع هي الأمانة التي عرضها الله على السماوات وعُمَارها والأرضين وما فيها غير الثقلين: فأشفقوا منها وخافوا عاقبة ذلك إن هم حملوا أمانة التكليف العبادي فلم يؤدوه على وجهه الذي أراده الله تعالى، واختار حملها الإنسان قال الله تعالى: « إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا » (الأحزاب: ٧٢).

وهذه الشرائع من التكاليف والعبادات التي شرعها الله تعالى للثقلين وأنـزل بها كتبه، وأرسل بها رسله كلها خير للثقلين، وما شرعها الله تعالى إلا لغايات وحكم تعود على الخلق بالخير في الدارين: الدار الدنيا، والدار الآخرة، فما من عبادة من العبادات ولا تشريع من التشريعات إلا وله مقصد وحكمة وغاية عليا تعود على المكلفين بالخير في الدار الدنيا أو الدار الآخرة، فلم يشرع الله حكمًا بلا حكمة وغاية.

قال ابن قيم الجوزية في كتابه المهم «إعلام الموقعين عن رب العالمين» (٤/٣٣٨): «فإن الشريعة مَبْنَاها وأساسها على الحِكَم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عَدْلٌ كلها، ورحمة كلها، ومصالحُ كلها، وحكمةٌ كلها؛ فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجوْر، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة

ضد التأويل.

فالشريعة عدل الله بين عباده، ورحمته بين خلقه، وظله في أرضه، وحكمته الدالة عليه وعلى صدق رسوله-صلى الله عليه وسلم- أتم دلالة وأصدقها، وهي نوره الذي به أبصر المبصرون، وهداه الذي به اهتدى المهتدون، وشفاؤه التام الذي به دواء كل عليل، وطريقه المستقيم الذي من استقام عليه فقد استقام على سواء السبيل؛ فهي قرة العيون، وحياة القلوب، ولذة الأرواح؛ فهي بها الحياة والغذاء والدواء والنور والشفاء والعصمة، وكل خير في الوجود فإنما هو مستفاد منها، وحاصل بها، وكل نقص في الوجود فسببه من إضاعتها، ولولا رسوم قد بقيت لخربت الدنيا وطوي العالم، وهي العصمة للناس وقوام العالم، وبها يمسك الله السماوات والأرض أن تزولا، فإذا أراد الله سبحانه وتعالى خراب الدنيا وطي العالم رفع إليه ما بقي من رسومها؛ فالشريعة التي بعث الله بها رسوله هي عمود العالم، وقطب رحى الفلاح والسعادة في الدنيا والآخرة».

والعبادات في جملتها تنقسم إلى ثلاثة أقسام:

القسم الأول: العبادات المطلقة، كقراءة القرآن، والذكر المطلق، والدعاء، والدعوة إلى الله، والتبرعات المالية...

القسم الثاني: العبادات المقيدة، ويراد بها العبادات المقيدة بزمان أو مكان معينين، كالصلوات الخمس فإنها مؤقتة بزمان، قال الله تعالى: «إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَّوْقُوتًا» (النساء: ١٠٣)، وكالطواف والسعي فإنها مختصة بمكان، قال تعالى: «وَلْيَطَّوَّفُوا بِالْبَيْتِ الْعَتِيقِ» (الحج: ٢٩)، وقال: «إِنَّ الصَّفَا وَالْمَرْوَةَ مِن شَعَائِرِ اللَّهِ فَمَنْ حَجَّ الْبَيْتَ أَوِ اعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا» (البقرة: ١٥٨).

القسم الثالث: العبادات المسببة، ويراد بها العبادات التي تشرع بانعقاد سببها، كصلاة الخسوف والكسوف وصلاة الاستسقاء، عن أبي بكرة، قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «إن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد، فإذا رأيتموهما، فصلوا، وادعوا حتى يُكشف ما بكم» (أخرجه البخاري (١٠٤٠)، ومسلم (٩٠١))

وعن أنس بن مالك، قال: جاء رجل إلى النبي-صلى الله عليه وسلم- فقال: «هلكت المواشي، وتقطعت السبل، فدعا، فمُطرنا من الجمعة إلى الجمعة.

ثم جاء، فقال: تهدمت البيوت، وتقطعت السبل، وهلكت المواشي، فادع الله يمسكها.

فقام-صلى الله عليه وسلم- فقال: اللهم على الآكام والظراب، والأودية، ومنابت الشجر. فانجابت عن المدينة انجياب الثوب» (أخرجه البخاري (١٠١٦)، ومسلم (٨٩٧))

والعبادات المشروعة المختصة برمضان من العبادات المقيدة المؤقتة بهذا الزمان: وهي: صيام رمضان وهو ركن من أركان الإسلام، وصلاة التراويح وهي شعار ظاهر يختلف عن صلاة القيام فليست شعارًا ظاهرًا، وزكاة الأبدان-زكاة الفطر-، وتحري ليلة القدر، والاعتكاف، بل وصلاة عيد الفطر وإن كانت في شوال فسببها الفطر من رمضان.

ومن العبادات غير المختصة برمضان التي يزاد في وصفها لأجله مدارسة القرآن، والصدقات، وتفطير الصائمين وغيرها، فعن ابن عباس-رضي الله عنهما- قال: «كان رسول الله-صلى الله عليه وسلم- أجود الناس، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن، فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة» (أخرجه البخاري (١٩٠٢)، ومسلم (٢٣٠٨)).

وكل هذه العبادات المختصة بهذا الزمان شرعت في العام الثاني لهجرة النبي-صلى الله عليه وسلم- وسواء منها الواجب أو المستحب، وقد شرعت لمقاصد عظيمة تعود على المكلفين بالنفع في الدارين، وسأخص في هذا المقال منها مقصد تشريع الصيام لضيق المقام عن التعرض لغيره من العبادات.

أولا: المقاصد التشريعية في صيام رمضان:

والمراد من المقاصد التشريعية: الغايات التي شرعت الأحكام من أجلها لتحقيق مصالح العباد.

أو هي المعاني والحكم التي راعاها الشارع في التشريع من أجل تحقيق مصالح العباد.

المقصد التشريعي من الصيام:

امتثال الطاعة في الصيام، وامتثال ترك وحبس للنفس عن بعض المباحات التي جُوز للعبد في الجملة إتيانها في غير وقت الصيام فليس فيه فعل من الأفعال، وانما هو ترك لشهوتي البطن والفرج المباحتين مؤقتا بزمان بعينه.

وفي الصيام كف للجوارح عن المعاصي والآثام، وصون للنفس عن الأخلاق الرديئة التي قد يرتكبها المكلف بغريزته الغضبية، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- أن رسول الله-صلى الله عليه وسلم- قال: «إذا أصبح أحدكم يومًا صائمًا، فلا يرفث ولا يجهل، فإن امرؤ شاتمه أو قاتله، فليقل: إني صائم، إني صائم» (أخرجه البخاري (١٧٩٥)، ومسلم (١١٥١)).

والمكلف لا يستطيع فعل ذلك إلا بترويض نفسه، ومراقبتها وتعهدها حتى تألف ترك المعصية والتنزه عن الأخلاق الرديئة.

والاكتفاء بترك شهوتي البطن والفرج دون ما سبق غير محقق لمقصد الشارع من الصيام، فعن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال: قال رسول الله-صلى الله عليه وسلم-: «من لم يدع قول الزور والعمل به، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه» (أخرجه البخاري (١٩٠٣)، ومسلم (١١٥١)).

قال الحافظ في فتح الباري (١١٧/٤): «وقال البيضاوي: ليس المقصود من شرعية الصوم نفس الجوع والعطش بل ما يتبعه من كسر الشهوات وتطويع النفس الأمارة للنفس المطمئنة، فإذا لم يحصل ذلك لا ينظر الله إليه نظر القبول.

فقوله: "ليس لله حاجة": دليل عدم القبول فنفى السبب وأراد المسبب».

والمكلف لا يكون ممتثلا لأمر الله تعالى في الصيام إلا بتحقيق الإخلاص في حال الصيام، عن أبي هريرة-رضي الله عنه- قال رسول الله- صلى الله عليه وسلم-: «من صام رمضان، إيمانًا واحتسابًا، غُفر له ما تقدم من ذنبه» (أخرجه البخاري (٣٨)، ومسلم (٧٥٩)).

ويُرجى أن تكون التقوى وصفًا يلازمه عمره نتيجة لهذا المسلك، وهذا هو المقصد الأعظم من تشريع الصيام قال الله تعالى: «يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة: ١٨٣).

والصوم بعد ذلك محقق لصحة البدن والقلب مستفرغ للمواد الرديئة المانعة من عافيته.

قال ابن قيم الجوزية في زاد المعاد في هدي خير العباد (٢/٢٧-٢٨): «لما كان المقصود من الصيام حبس النفس عن الشهوات، وفطامها عن المألوفات، وتعديل قوتها الشهوانية، لتستعد لطلب ما فيه غاية سعادتها ونعيمها، وقبول ما تزكو به مما فيه حياتها الأبدية، ويكسر الجوع والظمأ من حدّتها وسورتها، ويذكّرها بحال الأكباد الجائعة من المساكين.

وتضييق مجاري الشيطان من العبد بتضييق مجاري الطعام والشراب، وتحبس قوى الأعضاء عن استرسالها لحكم الطبيعة فيما يضرها في معاشها ومعادها، ويسكن كل عضو منها وكل قوة عن جماحه وتلجم بلجامه، فهو لجام المتقين، وجنة المحاربين، ورياضة الأبرار والمقربين.

وهو لربّ العالمين من بين سائر الأعمال، فإن الصائم لا يفعل شيئًا، وانما يترك شهوته وطعامه وشرابه من أجل معبوده، فهو ترك محبوبات النفس وتلذذاتها إيثارًا لمحبة الله ومرضاته، وهو سرٌّ بين العبد وربه لا يطلع عليه سواه، والعباد قد يطلعون منه على ترك المفطرات الظاهرة، وأما كونه ترك طعامه وشرابه وشهوته من أجل معبوده، فهو أمرٌ لا يطلع عليه بشر، وذلك حقيقة الصوم.

وللصوم تأثير عجيب في حفظ الجوارح الظاهرة والقوى الباطنة، وحميتها عن التخليط الجالب لها المواد الفاسدة التي إذا استولت عليها أفسدتها، واستفراغ المواد الرديئة المانعة لها من صحتها، فالصوم يحفظ على القلب والجوارح صحتها، ويعيد إليها ما استلبته منها أيدي الشهوات، فهو من أكبر العون على التقوى».

وعلى هذا فالصوم يحقق عددًا من المقاصد الشرعية للمكلف في الدنيا والمعاد، منها:

تحصيل التقوى وهي المقصود الأعظم، وتحقيق الإخلاص، وتربية ملكة المراقبة التي هي إحدى درجتي الإحسان، وضبط الإرادة

والتحكم في النفس، وتهذيب للأخلاق، وتخليص للنفس من العادات والأخلاق الرديئة، وتعويد للنفس على البذل والعطاء.

ومنها ما يعود على جسمه بالنفع في الدنيا: فيتخلص الجسم من الأخلاط الرديئة، وتتحسن صحة الدم من خلال زيادة عدد كريات الدم الحمراء والبيضاء والصفائح الدموية، وينخفض ضغط الدم، ويتحقق له التوازن في نسبة دهون الجسم من خلال تقليل الدهون الثلاثية، وتخفيض الكوليسترول الضار وزيادة الكولسترول الجيد في الدم.

وهي كما ترى كلها مقاصد وغايات يعود نفعها على المكلفين في الدارين.

ثانيا: مقاصد المكلفين من صيام رمضان:

١- المراد من مقاصد المكلفين: الغايات والحكم التي يعمل المكلف لأجلها، أو هي نيته من الامتثال للتشريع.

وعلى هذا فمقاصد المكلفين تشتمل على ثلاثة أمور:

الأول: نيته في التقرب بالعبادة.

الثاني: أن يقصد امتثال الشرع في الإتيان بالعبادة، كما أرادها الله تعالى، وهذا هو الاتباع، ولا يتحقق ذلك إلا بترك الابتداع، قال الشاطبي في الموافقات (٢/٢٨٩): «المقصد الشرعي من وضع الشريعة إخراج المكلف عن داعية هواه، حتى يكون عبدًا لله اختيارًا، كما هو عبد لله اضطرارًا».

الثالث: أنْ يقصد الغاية النهائية من التكاليف، وهو إرضاء الله، وقد يقصد نتيجة ذلك وهو دخول جنته.

٢- تطبيق ذلك على مقصد المكلف من صوم رمضان: جاء بيان هذا المقصد بيانًا واضحًا في قول النبي صلى الله عليه وسلم: «من صام رمضان، إيمانًا واحتسابًا، غفر له ما تقدم من ذنبه».

- فقوله: "إيمانًا": يعني: تصديقًا، وصرفًا للعبادة لله وحده، وهذا يشمل الأمر الأول، وهو نية المكلف في التقرب بالعبادة.
- أما مقصد الاتباع فهذه اللفظة بلازمها تدل عليه فلا يكون مصدقًا حتى يكون ممتثلاً للأمر كما أمره الله به.

وقوله: "احتسابًا": تشتمل على الأمر الثالث من مقاصد المكلفين:

وهو: طلب رضاء الله عنه بامتثال شرعه في الصيام.

- وطلب نتيجة هذا الرضا بطلب المغفرة عن سائر ما تقدم من الذنب كبيره وصغيره؛ تصديقًا للخبر: «غفر له ما تقدم من ذنبه».
- وطلب نتيجة هذا الرضا أيضًا بطلب العتق من النار، تصديقًا للخبر: «ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة» (أخرجه الترمذي (٦٨٢)، وابن ماجه (١٦٤٢)).(وصححه الالباني)
- وطلب نتيجة هذا الرضا أيضًا بطلب مضاعفة الأجر، تصديقًا للخبر: «كل عمل ابن آدم يضاعف، الحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعف، قال الله عز وجل: إلا الصوم، فإنه لي وأنا أجزي به» (أخرجه البخاري (٧٤٩٢)، ومسلم (١١٥١)، واللفظ له).
- وطلب نتيجة هذا الرضا أيضًا بطلب دخول الجنة، تصديقًا للخبر: «إن في الجنة بابا يقال له الريان يدخل منه الصائمون يوم القيامة لا يدخل منه أحد غيرهم يقال أين الصائمون فيقومون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلن يدخل منه أحد» (أخرجه البخاري (١٧٩٧)، ومسلم (١١٥٢)).
- وطلب نتيجة هذا الرضا أيضًا بطلب تكريم الله له يوم القيامة، تصديقًا للخبر: «ولخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» (أخرجه البخاري (٥٥٨٣)، ومسلم (١١٥١)).

فهذه هي مقاصد الشرع في صيام رمضان، وتلك هي المقاصد التي ينبغي للمكلفين أن يستحضروها في صيام هذا الشهر الفضيل، نسأل الله أن يُعيننا وإياكم على شكره وذكره وحسن عبادته، وأن يتقبل منا ومنكم الصيام وصالح الأعمال.

التفريط في المنح الربانية في شهر رمضان.. أسبابه وعلاجه

إعداد عبد العزيز مصطفى الشامي

الحمد لله رب العالمين، سبحانه وتعالى له الحمد الحسن والثناء الجميل، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد.. فينبغي للعبد العاقل أن يقف مع أيام عمره وقفة تأمل واعتبار، فيحاسب نفسه على ما مضى من عمره، ويتأمل في كيفية انقضائه، وسرعة مروره، ويأخذ العبرة من قدوم رمضان تلو رمضان، فالأيام تمضي، والأعمار تنقضي، وكلٌّ إلى داعي الموت سيصغي راغمًا ويجيب.

وان من مواطن العِبر: أننا ومع رحيل كل رمضان صمناه نشعر بالأسى لرحيله، والتقصير فيه، ولعل كثير منا يتذكر رمضان الماضي، وكم شعرنا بغُصّة لفراقه، وتألمنا لتقصيرنا فيه، ورجونا إن أدركنا رمضان القادم أن نقبل على الطاعات، ونستفرغ الوسع في العبادة وعمل الصالحات.. وها قد استجاب الله دعاءنا بمنّه، وبلّغنا رمضان بفضله وكرمه، فهل نعوّض ما فات؟!

استشعار النعمة وشكرها:

إن بلوغ رمضان نعمة كبرى، يقدرها حق قدرها الصالحون، وان من واجبنا استشعار هذه النعمة، واغتنام هذه الفرصة، فإنها إن فاتت كانت حسرةً ما بعدها حسرة، وأي خسارة أعظم من أن يدخل المرء فيمن عناهم المصطفى بحديثه على منبره في مسألة بينه وبين جبريل الأمين: (من أدرك شهر رمضان فلم يغفر له، فدخل النار فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين)؟!(صحيح الجامع (٧٤))؛ فمن حُرِمَ المغفرة في شهر المغفرة فماذا يرتجي؟! ومن ضاعت منه دقائق رمضان فقد خسر غاليًا وفرط كثيرًا، نسأل الله السلامة والعافية.

وان استشعار هذه النعمة، وشكر الله عليها، هو مفتاح القَبول، فعَنْ عَطِيَّةَ بْنِ بُسْرٍ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " أَيُّمَا عَبْدٍ جَاءَتْهُ مَوْعِظَةٌ مِنَ اللَّهِ فِي دِينِهِ؛ فَإِنَّهَا نِعْمَةٌ مِنَ اللَّهِ سِيقَتْ إِلَيْهِ، فَإِنْ قَبِلَهَا بِشُكْرٍ، وَإِلَّا كَانَتْ حُجَّةً مِنَ اللَّهِ عَلَيْهِ لِيَزْدَادَ بِهَا إِثْمًا وَيَزْدَادَ اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا سَخَطًا" (أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ح(٧٠٢٤) وضعفه الألباني.

وان من نعم الله تعالى على عباده إدراك نفحات هذا الشهر ورحماته، فإذا تقبل العبد هذه النعمة بالشكر، واغتنم الشهر في الصالحات، فاز برضا رب الأرض والسماوات، ولم لا ورمضان منحة عظيمة؛ تضاعف فيه الحسنات، وتعظم فيه السيئات، وتفتح فيه أبواب الجنات، وتقبل فيه التوبة إلى الله من ذوي الآثام والسيئات.

تأتي أيام رمضان ليفتح الله برحمته أبواب الأجر والخير على عباده، وتكثر فيه سُبل اكتساب الحسنات، مع ما اختص الله به هذا الشهر العظيم من مضاعفة أجور الأعمال الصالحة، فضلاً من الله-عز وجل- وكرمًا منه على عباده، فينادي منادٍ في أول ليلة من رمضان فيقول: «يا باغي الخير! أقبل، ويا باغي الشر! أقصر». (أخرجه الترمذي (٦٨٢) وصححه الألباني).

وبرغم ما في هذا الشهر المبارك من أعمال صالحات، ورغبة الصالحين في الإكثار من العبادات والدعاء، والتوسع في المعروف، والبذل وتفريج الكربات، إلا أن بعض الناس أرخص لياليه، وأرهق فيها بصره مع الفضائيات، يعيش معها في أوهام السراب، فإذا انقضى شهر الصيام، خرج بحصيد الهشيم فلا مال فيه جمع، ولا للآخرة ارتفع، ربح الناس وهو الخاسر.

دقائق الليل غالية:

إن الأيام صحائف الأعمار، والسعيد من يخلدها بأحسن الأعمال، وراحة النفس في قلة الآثام، وليالي رمضان واحة المتقين، تجتمع فيه شتات الهموم، وتصفو النفوس ويتوجه العبد للقاء الحي القيوم، والسَّحر وقت شريف، يقترب الله جل وعلا من عباده، لعلهم يتوبون أو يناجون ربهم ويُنزلون حاجتهم به، ويستغفرونه ويتوبون إليه.

ومع أن كثيرًا من المسلمين طوال العام يكونون نائمين في هذا الوقت الشريف، إلا أنهم إذا غمرهم رمضان قاموا إلى السحور، فعمروا هذا الوقت بالصالحات فذكروا ربهم، وصلوا ركعتين في جوف الليل، ودعوا ربهم واستغفروه.

وإن السعيد من اغتنم هذا الوقت الفاضل وتقرب فيه إلى مولاه بما يستطيع من الصلاة والدعاء والاستغفار، فعسى أن تصيبه نفحة من نفحات السَّحر، فيسعد بها سعادة أبدية.

من أسباب خسارة رمضان:

من أراد الله به خيرًا حبَّب إليه الإيمان، وزيَّنه في قلبه، وكرَّه إليه الكفر والفسوق والعصيان، فصار من الراشدين، ومن أراد به شرًّا خلَّى بينه وبين نفسه، فاتبعه الشيطان، فحبَّب إليه الكفر والفسوق والعصيان، فكان من الغاوين.

ولذا يجب الحذر من المعاصي، فكم سلبت من نعم! وكم جلبت من نقم! وكم خرَّبت من ديار! وكم أخلت ديارًا من أهلها فما بقي منهم أحد! كم أخذت من العصاة بالثأر! كم محت لهم من آثار! وهناك أمور كثيرة إذا اجتمعت على العبد ضيعت عليه رمضان وخرج منه خاسرًا لأفضل ما فيه، ومن هذه الأمور:

أولا: الغفلة عن النية وعدم احتساب الأجر:

عن أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّه عَنْه أن النَّبِيَّ صَلَّى اللَّه عَلَيْه وَسَلَّم قَالَ: "مَنْ قَامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه، وَمَنْ صَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِه" (أخرجه البخاري (١٩٠١) ومسلم ٧٦٠)؛ وعليه فالمسلم العاقل يصوم لله وحده؛ طلبًا لرضاه، واستجابة لأمره، طلبًا لثواب الله: (إلا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، يَدَعُ شَهْوَتَهُ وَطَعَامَهُ مِنْ أَجْلِي) (أخرجه مسلم ١١٥١)، إذا فالصيام عبادة خفية بينك وبين الله لا يعلم بها إلا الله، فقد تشرب وتأكل لا يعلم بك أحد من الناس، ولكن (وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ)، فمن صام بهذه المعاني وجد حلاوة الصيام، وشعر بلذة رمضان، فأقدم على الأعمال الصالحة أيما إقدام.

ثانيا: إهمال الصلوات الخمس، وتأخيرها عن وقتها، وأداؤها بكسل وخمول:

وهذا من أعظم أسباب خسارة رمضان، فمن لم يحرص على الفرائض ولم يقم بالواجبات، فكيف يرجى منه النوافل، بل كيف يرجى منه استغلال رمضان، ربما صلى الرجل في آخر الوقت الصلاة؛ ينقرها نقر الغراب، فكيف لمن كان هذا حاله أن يستغل رمضان في طاعة الله والفوز فيه، بل هذا يخشى على صيامه ألا يقبل، والعياذ بالله.

ثالثا: السهر في غير طاعة:

وهو من أعظم أسباب خسارة رمضان، وكيف يرجى لمن سهر طوال الليل في غير طاعة أن يفوز برمضان، فتجد أكثر الناس يجلسون طوال الليل مع الأقارب أو مع الأصحاب وتذهب الساعات بالقيل والقال، واللعب، وتتبع القنوات الفضائية، والإنترنت، وربما جلسوا حتى وقت السحر لم يقرؤوا حرفا من كتاب الله، أليست خسارة أن تضيع هذه الساعات الطوال من رمضان في كل ليلة بمثل هذا؟!

رابعا: التخمة بالأكل والشرب عند الإفطار والسحور:

فكثرة الأكل والشرب والإفراط في ذلك -فضلاً عن أنه يقسِّي القلب- يصيب الإنسان بالخمول والتخمة، فيرغب في النوم، فلا يتلذذ بصلاة ولا يتدبر القرآن، ولا يستطيع القيام، وهذا فيه من الخسارة ما الله به عليم، قال النبي: "مَا مَلأَ آدَمِيٌّ وِعَاءً شَرًّا مِنْ بَطْنٍ بِحَسْبِ ابْنِ آدَمَ أُكُلاتٌ يُقِمْنَ صُلْبَهُ، فَإِنْ كَانَ لا مَحَالَةَ فَثُلُثٌ لِطَعَامِهِ وَثُلُثٌ لِشَرَابِهِ وَثُلُثٌ لِنَفْسِهِ" (أخرجه الترمذي (٢٣٨٠) وصححه الألباني)، فإذا أراد العبد أن يصح جسمه ويقل نومه فليقلل من الأكل، فإن مما يترتب على كثرة الأكل والسهر: كثرة النوم والخمول والكسل، ولو نام العبد في الليل ساعات لجلس بعد صلاة الفجر يذكر الله، ويقرأ القرآن، وأصبح طوال نهاره طيب النفس نشيطًا.

كيف نفوز في رمضان ولا نخسره؟!

إذا عرف العبد قدر نعمة الله عليه، وقدرها

حق قدرها، ربح، والعكس بالعكس ولا يظلم ربك أحدا، وإن من المعينات على اغتنام الدقائق الرمضانية الغالية أمور كثيرة، منها ما يلي:

١ - تعظيم شعائر الله:

لا شك أن شهر رمضان وصيامه وقيامه من شعائر الله تعالى، وإن رضى المسلم عن ربه تبارك وتعالى، ورضاه بما اختاره له، وفرضه عليه، وتعظيم ما عظمه الله وإقامة حدوده، هو من تعظيم الله، وتعظيم حرمات الله، قال تعالى: «ذَلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَاتِ اللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ عِندَ رَبِّهِ» (الحج:٣٠). وقال تعالى: «وَمَن يُعَظِّمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى الْقُلُوبِ» (الحج:٣٢).

وإن من تعظيم الله تعالى في شعيرة رمضان تعظيم حرمات الشهر، ولزوم ما أمر الله بأدائه، واجتناب نواهيه ومحرماته، فإذا كانت الطاعة فيه عظيمة، فالمعصية أيضا خطيرة، قال تعالى: «تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَعْتَدُوهَا وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ» (البقرة:٢٢٩).

وإن تعظيم حرمات الله تعالى واحترام أوامره وامتثالها، ومعرفة نواهيه واجتنابها، لهو طريق إلى الفلاح، وسبيل للنجاح، ودليل على الإيمان، وبرهان على الإحسان، وسبب للغفران.

٢ - تلمح الأجر والبصر بالعواقب:

إذا تلمح العبد الأجر فيما يعمل وتبصر بعواقب عمله، دفعه ذلك دفعا إلى اتباع مراضي الله تبارك وتعالى وعدم التفريط في طاعته، وتدبر معي هذا الحديث الجليل عَنْ أبي صالح الزيات أَنَّه سمع أبا هُرَيْرَةَ رضي الله عنه يَقُولُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: قَالَ اللَّهُ: "كُلُّ عَمَلِ ابْنِ آدَمَ لَهُ، إِلَّا الصِّيَامَ فَإِنَّهُ لِي وَأَنَا أَجْزِي بِهِ، وَالصِّيَامُ جُنَّةٌ، وَإِذَا كَانَ يَوْمُ صَوْمِ أَحَدِكُمْ فَلَا يَرْفُثْ وَلَا يَصْخَبْ، فَإِنْ سَابَّهُ أَحَدٌ أَوْ قَاتَلَهُ فَلْيَقُلْ إِنِّي امْرُؤٌ صَائِمٌ. وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ لَخُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللَّهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ. لِلصَّائِمِ فَرْحَتَانِ يَفْرَحُهُمَا: إِذَا أَفْطَرَ فَرِحَ، وَإِذَا لَقِيَ رَبَّهُ فَرِحَ بِصَوْمِهِ". (أخرجه البخاري (١٩٠٤) ومسلم (١١٥١).

وهذا الحديث يدعونا في مواضع منه إلى تملح الأجر وبيان عاقبة العمل الصالح، فتخيل قوله تعالى (إلا الصيام فإنه لي وأنا أجزي به)، وكذا تخيل فرحة الصائم، يفرح عند فطره بأمرين، باستكمال صوم اليوم الذي من الله عليه بصيامه، وقواه عليه، ويتناول ما أحل الله له من طعام وشراب، ويفرح عند لقاء ربه بما يجده عند ربه مدخرا له من أجر الصيام.

٣ - اتخاذ القدوة الحسنة:

إن اتخاذ المسلم لمن سبقوه من الصالحين قدوة حسنة له، لهو من طرق النجاة وسبل الفوز في الآخرة، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة، ولذلك يجب أن يلجأ العبد في رمضان إلى سير السلف يقوي عزيمته ويعلي همته، فيطالع سيرهم، وينظر في أحوالهم، كل هذا يدفعه إلى مزاحمة الصالحين، ومتابعة السلف الصالح الذين كانت لهم في رمضان أحوال خاصة مع شهر الصيام: إذ كانوا ينتظرون رمضان بشوق وحنين متخذينه شهر مضمار وسباق إلى الله تعالى، فإذا دخل رمضان كانوا قليلاً من الليل ما يهجون وبالأسحار هم يستغفرون، يبيتون لربهم سجدا وقياما، فيصبحون شعثا غبرا صفرا، ولكنهم فازوا بالنعيم وزيادة.

لقد كان السلف يهتمون برمضان اهتماما بالغا، إذ هو شهر الفضائل والمنازل، ويحرصون على استغلاله في عمل الطاعات والقربات، وكانوا سباقين إلى الخير، تائبين إلى الله من الخطايا في كل حين، فما من مجال من مجالات البر إلا ولهم فيه اليد الطولى، وخاصة في مواسم الخيرات، ومضاعفة الحسنات، لذلك نجد أن حال السلف مع القرآن في رمضان حال المستنفر نفسه لارتقاء المعالي: فهذا الإمام البخاري-رحمه الله- كان إذا كان أول ليلة من شهر رمضان، يجتمع إليه أصحابه فيصلي بهم ويقرأ في كل ركعة عشرين آية، وكذلك إلى أن يختم القرآن. وكان يقرأ في السحر ما بين النصف إلى الثلث من القرآن، فيختم عند الإفطار كل ليلة ويقول: عند كل الختم: دعوة مستجابة. وروي عن الشافعي أنه كان يختم في رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة، قال الربيع: "كان الشافعي يختم كل شهر ثلاثين ختمة، وفي رمضان ستين ختمة سوى ما يقرأ في الصلاة". (صفة الصفوة لابن الجوزي ٢/٢٥٥).

أسأل الله أن يعيننا على ذكره وشكره وحسن عبادته، وأن يتقبل منا صالح الأعمال، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

قصة كيفية تصفيد الشياطين في رمضان

إعداد الشيخ علي حشيش

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله وبعدُ:

فنواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة الواهية التي اشتهرت على السنة الوعاظ والقصاص، والى القارئ الكريم التخريج والتحقيق:

أولاً: أسباب ذكر هذه القصة:

١- وجود هذه القصة في بعض كتب السنة الأصلية-كما سنبين من التخريج- يجعل من لا دراية له بالتحقيق وعلم الحديث يتوهم أن القصة صحيحة. فالحديث الذي جاءت به هذه القصة روي عن الصحابي الجليل علي بن أبي طالب عن النبي صلى الله عليه وسلم، وهو كما سنبين من التحقيق أنه حديث موضوع.

٢- وحتى يقف القارئ الكريم على معرفة هذا المصطلح لا بدَّ من بيان معناه الاصطلاحي:

الموضوع: هو الكذب المختلق المصنوع، وهو شر الضعيف وأقبحه، تحرم روايته في أي معنى كان، سواء الأحكام، والقصص، والترغيب، وغيرها، إلا مقرونًا ببيان وضعه». اهـ. كذا في «التدريب الراوي» (٢٧٤/١) النوع (٢١) للإمام السيوطي، وقال الحافظ ابن حجر في «شرح النخبة» (ص٤٤): «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو «الموضوع»».

وسنطبق هذا المصطلح على هذا الحديث الذي جاءت به هذه القصة، حتى يجد طالب العلم أيضًا دراسة «لعلم الحديث التطبيقي»، وهو أحد أهداف هذه السلسلة وهي:

أ- أن يقف القارئ الكريم على درجة القصة، وحسبه هذا القدر.

ب- والداعية يكون على حذر، ويسلم له عمله على السنة وحدها، ويعرف مواضع هذه القصة في الكتب التي أخرجتها، والكتب التي أوردتها فلا يغتر بوجودها.

هـ- وطالب هذا الفن: يجد نماذج من علم الحديث التطبيقي.

وبهذا يتحقق «الدفاع عن السنة المطهرة»، وتعم الفائدة لهذه السلسلة التي تنشرها مجلة «التوحيد الغراء» منذ أكثر من أربعين عامًا بفضل الله وحده، ثم بتوفيق الله وحفظه للقائمين على تحرير المجلة وإخلاصهم- أحسبهم كذلك ولا أزكي على الله أحدًا، والله أسأل أن يرحم من مات منا من أسرة تحرير مجلتنا «مجلة التوحيد»، ويجعل ما أخرجوه للدنيا في كل شهر علمًا نافعًا متقبلاً لا ينقطع به عملهم بعد موتهم.

والى القارئ الكريم: بيان متن الحديث الذي جاءت به القصة، ثم تخريجه، ثم تحقيقه، ثم الاستنتاجات العلمية الحديثية.

ثانيا: المتن:

رُوِيَ عن عليّ بن أبي طالب رضي، قال: لما كان أولُ ليلةِ من رمضانَ قامَ رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم وأثنى عَلَى اللهِ وَقالَ: «أيها النَاسُ قَدْ كَفَاكُم اللهُ عدوكم من الجنِّ، وَوَعَدَكُمُ الإجَابَةَ وَقـالَ: «ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ» (غافر: ٦٠)، ألا وَقَدْ وَكَّلَ اللهُ بِكُلِّ شَيْطَانٍ مريد سَبْعَةً منَ المَلائكَة فَليس بِمَحْلُولٍ حَتى يَنْقَضِي شَهرُ رَمَضَـانَ، ألا وأبـوابُ الشتَاءِ مُفَتحَة مِنْ أولِ ليلةً منْهُ إلى آخر ليلة منه، ألا وَالدّعَاءُ فيه مَقْبُولٌ، حَتّى إذا كَانَ أوَلُ لَيْلَة مِنَ العَشْرِ شَمَّ وشَدَّ المئزر، وَخَـرجَ مِنْ بَيْتِه واعْتَكَفَهُنَّ، وَأحيا اللّيل. قلنا: وما يعنى شَدُّ المئزر؟ قالَ: كَانَ يَعْتَزِلُ النَّسَاءَ فِيهن». اهـ.

ثالثا: التخريج:

الحديث أخرجه الإمام الحافظ أبو القاسم إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني الملقب بقوام السنة (٤٥٧هـ-٥٣٥هـ) في كتابه «الترغيب والترهيب» (٣٨٦/٢) ح(١٨٣٦) قال: حدثنا سليمان إبراهيم إملاءً، حدثنا محمد بن جعفر بن محمد بن يوسف الهمداني، حدثنا الفضل بن الفضل الكنديّ، حدثنا محمد بن سهل العطار، قال: حدثني عبد الله بن محمد البلوي، حدثني إبراهيم بن عبيد الله بن العلاء، عن زيد بن الحسين، عن أبيه، عن جده، عن عليّ رضي الله عنه قال: «لما كان أول ليلة من رمضان قام رسول الله صلى الله عليه وسلم....». الحديث.

رابعا: التحقيق:

هذا الحديث لا يصح: وفيه: محمد بن سهل العطار:

- قال الإمام الحافظ أبو بكر أحمد بن علي الخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ هو في كتابه «تاريخ بغداد» (٢٨٣٢/٣١٤/٥): محمد بن سهل بن عبد الرحمن أبو عبد الله العطار: حدث عن عبد الله بن محمد البلوي وآخرين. ثم قال:

أ- أخبرنا أحمد بن محمد بن غالب قال: قال الدار قطني: محمد بن سهل العطار كان ممن يضع الحديث.

ب- وقال: أخبرني أبو القاسم الأزهري قال: قال لنا أبو الحسن الدار قطني: محمد بن سهل العطار متروك.

جـ- سمعت أبا محمد الحسن بن محمد الخلال يقول: «كان محمد بن سهل العطار يضع الحديث».

٢- قـال الإمـام الـذهـبـي في «المـيـزان» (٧٦٥٣/٥٧٦/٣): محمد بن سهل العطار من شيوخ أبي بكر الشافعي اتهموه بوضع الحـديـث، قـال الـدار قطني: ممـن يضع الحـديـث. ثـم قـال: روى عـن طـائـفـة لا يعرفون». اهـ.

٣- نقل الحافظ ابـن حجر في «اللسان» (٢١٩/٥) (٧٤٦٠/٦٧٥) مـا ذكـره الإمـام الذهبي في «المـيـزان»، ثم قـال أبـو أحمد الحاكم: «محمد بن سهل العطار كذاب». اهـ.

ثم ذكر أن الخلال قال: «كان محمد بن سهل العطار يضع الحديث». اهـ.

وعلة أخرى: عبد الله بن محمد البلوي:

١- قـال الإمـام الـذهـبـي في «المـيـزان» (٤٥٥٨/٤٩١/٢): «عـبـدالله بـن محمد البلوي قال الدار قطني: يضع الحديث».

ثم قـال الإمـام الـذهـبـي: «روى عنه أبـو عوانة في «صحيحه» في الاستسقاء خبرًا موضوعًا». اهـ.

٢- فأقره الحافظ ابـن حجر في «اللسان (٤١٦/٣) (٤٧٥٦/٤٠٥)، وقال: «وهو صاحب رحلة الشافعي طولها ونمّقها، وغالب ما فيها مختلق». اهـ.

٣- وعلة ثالثة: إبراهيم بن عبد الله بن العلاء شيخ عبد الله بن محمد البلوي؛ قال الإمام الذهبي في «الميزان» (١٢٠/١٣٩/١): قد روى عنه أئمة، قال النسائي. «ليس بثقة». اهـ. وأقـره الحافظ ابـن حجر في «اللسان» (١٩٠/٦٣/١).

٤- وقـوع تصحيف في سند هذا الحديث،

ويحسبه من لا دراية له بهذا الفن هينًا، ولكنه عند من الحديث صناعته عظيم، ولذلك قال الإمام السيوطي في «التدريب الراوي» (٢/١٩٣) النوع (٣٥): «معرفة المُصحف هو في جليل مهم، وإنما يحققه الحذّاق من الحفاظ والدار قطني منهم». اهـ.

والتصحيف الأول وقع في هذا الحديث فى الراوي «سليمان بن إبراهيم» شيخ الإمام الأصبهاني صُحّف إلى حدثنا «سليمان إبراهيم»، ووقع هذا التصحيف في كتاب «الترغيب والترهيب» للإمام الأصبهاني ط دار الحديث- القاهرة في سند هذا الحديث، وبالبحث وجدنا له (٨٦) حديث في «الترغيب والترهيب» للإمام الأصبهاني يقول: أخبرنا «سليمان بن إبراهيم» ذكره الإمام الذهبي في «تذكرة الحفاظ» ترجمه (١٠٣١) وقال: «سليمان بعد إبراهيم بن محمد بن سليمان الحافظ الإمام محدث أصبهان، وحدث عنه إسماعيل بن محمد بن الفضل التيمي الأصبهاني». اهـ.

والتصحيف الثاني في هذا السند كذلك وقع فى الراوي إبراهيم بن عبد الله بن العلاء صُحف إلى: حدثني إبراهيم بن عبيد الله بن العلاء».

والتصحيف الثالث في هذا السند كذلك وقع فى الراوي «زيد بن علي عن أبيه عن جده إلى عن علي بن أبي طالب» صُحّف إلى: «زيد بن الحسين عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب».

يتبين ذلك من «تهذيب الكمال» (٦/٤٧٧/٢١٠٢) للإمام المزي قال: «زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبى طالب» روى عن أبيه علي بن الحسين زين العابدين.

خامسًا: الاستنتاج:

١- نستنتج من التحقيق أن هذا مسلسل بالعلل من «وضّاع يضع الحديث كذّاب»، وآخر «يضع الحديث»، وثالث: «ليس بشيء».

وبتطبيق هذا الاستنتاج على حدِّ «الموضوع»، وهو ما ذكرناه آنفًا في صدر هذا البحث «الطعن بكذب الراوي في الحديث النبوي هو الموضوع»، نجده ينطبق عليه تمام الانطباق، وأنه كذب مختلق مصنوع منسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم، ورتبته شر الضعيف وأقبحه».

حكم روايته: محرم روايته في أي معنى كان، سواء الأحكام أو القصص والترغيب وغيرها.

٢- ومن الكذب المنسوب إلى النبي صلى الله عليه وسلم: «أن الله وكله بكل شيطان مريد بسبعة أملاك إذا دخل شهر رمضان صفدوه، يعني شدوه وأوثقوه، وقيدوه وسلسلوه بالسلاسل والأغلال، فلا يُحل حتى ينقضي شهر رمضان». فلا يصح، ولو مَلَكٌ واحد موكل بالتصفيد.

٣- أما تصفيد الشياطين فهو صحيح ثابت كما في الحديث المتفق عليه والذي أخرجه الإمام البخاري في ««صحيحه» والإمام مسلم في «صحيحه») من حديث الصحابي الجليل أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «إذا جاءَ رَمضان فُتحت أبوابُ الجنَّةَ، وغُلقتْ أبوابُ النَّار، وصُفدت الشياطينُ». واللفظ لمسلم، ولفظ البخاري: «إذا دَخَلَ شهرُ رمضانَ، فُتحت أبواب السماءُ، وغُلقت أبواب جهنمُ، وسُلسلت الشياطين».

٤- أما عن العمل في العشر الأواخر من رمضان، فقد ثبت في الحديث المتفق عليه والذي أخرجه الإمام البخاري في «صحيحه» ح (٢٠٢٤)، ومسلم في «صحيحه» ح (١١٧٤) من حديث أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: «كان النبي صلى الله عليه وسلم إذا دخل العَشْرُ شد مئزره، وأحيا لَيْلَهُ، وأيْقظ أهْلَهُ».

هذا ما وفقني الله إليه، وهو وحده من وراء القصد.

درر البحار
في بيان ضعيف الأحاديث القصار

إعداد: **الشيخ علي حشيش**

- «مَنْ لَمْ يُخَلِّلْ أَصَابِعَهُ بِالْمَاءِ خَلَّلَهَا اللَّهُ بِالنَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ».

الحديث لا يصح: أورده الإمام السيوطي في «مخطوطة درر البحار في الأحاديث القصار» (٢/٧٣) مكتبة الحرم النبوي، «الحديث» رقم المخطوطة (٢١٣/١٠٧) وقال: (طب عن واثلة).

قلت: «طب» ترمز إلى «الطبراني في المعجم».

وهذا تخريج بغير تحقيق، فيتوهم من لا دراية له بالصناعة الحديثية أن الحديث صحيح، وهو كما سنبين أنه شديد الضعف.

أولا: التخريج:

الحديث: أخرجه الإمام الطبراني في «المعجم الكبير» (٦٤/٢٢) ح(١٥٦) قال: حدثنا الحسين بن إسحاق، حدثنا شيبان بن فروخ، حدثنا حكيم بن خذام، عن العلاء بن كثير، عن مكحول عن واثلة، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «من لم يخلل أصابعه بالماء...» الحديث.

ثانيا: التحقيق:

هذا الحديث مسلسل بالعلل: من سقط خفي في الإسناد، وطعن في الرواة وكذّاب ومتروك:

العلة الأولى: حكيم بن خذام:

١- قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «الجرح والتعديل» (٢٠٣/٢/١): وسمعت أبي يقول: حكيم من خذام متروك الحديث. ثم قال ابن أبي حاتم: روى عن العلاء بن كثير صاحب مكحول. اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن عدى: حدثنا الجنيدي، حدثنا البخاري قال: «حكيم بن خذام منكر الحديث». اهـ.

العلة الثانية: العلاء بن كثير:

١- قال الإمام البخاري في «التاريخ الكبير» (٥٢٠/٢/٣): «العلاء بن كثير عن مكحول منكر الحديث». اهـ.

٢- قال الإمام الحافظ ابن حبّان في «المجروحين» (١٨١/٢): «كان ممن يروى الموضوعات عن الأثبات لا يحل الاحتجاج بما روى، وإن وافق فيها الثقات».

- ثم بيّن قاعدة في أوهام الجمع والتفريق فقال: «ومن أصحابنا من زعم أن العلاء بن كثير هو العلاء بن الحارث، وليس كذلك؛ لأن العلاء بن الحارث حضرمي من اليمن، وهذا من موالي بني أمية من أهل الشام». اهـ.

قلتُ: وكلاهما روى عن مكحول، فهما من طبقه واحدة، مع الاتفاق في اسم الراويين، لذلك قال الحافظ ابن حبان: «ومن أصحابنا من زعم أن العلاء بن كثير هو العلاء بن الحارث». اهـ.

العلة الثالثة: مكحول:

١- قال الإمام الذهبي في «الميزان» (٨٧٤٩/١٧٧/٤): «مكحول الدمشقي هو صاحب تدليس». اهـ.

- وذكره الحافظ ابن حجر في «طبقات المدلسين» (المرتبة الثالثة/٤٢) وقال: «مكحول الشامي لم يسمع من الصحابة إلا عن نفر قليل ووصفه بذلك ابن حبان». اهـ.

قلتُ: وبالرجوع إلى منهج الحافظ ابن حجر «طبقات المدلسين»، قال: «المرتبة الثالثة: من أكثر من التدليس فلم يحتج الأئمة من أحاديثهم إلا بما صرحوا فيه بالسماع». اهـ.

العلة الرابعة: الإرسال الخفي اصطلاحًا: «أن يَرْوي الراوي عمن لقيه أو عاصره ما لم يسمع منه».

التطبيق (١): قال الإمام الحافظ ابن أبي حاتم في «المراسيل» (٨٠٠): «سألت أبي عن مكحول عن واثلة؟ فقال: «مكحول لم يسمع من واثلة، دخل عليه»». اهـ. وفي «المراسيل» (٧٩٢): «سمعت أبي يقول: مكحول لم يسمع من معاوية، ودخل على واثلة بن الأسقع». اهـ. وفي «المراسيل» (٨٠٢): «سمعت أبي يقول: «لم يسمع مكحول من واثلة بن الأسقع، ولا من أبي ذر». اهـ. وكذلك في «المراسيل» (٧٨٩).

والله ولي التوفيق.

فتاوى

فتاوى الصيام

الحقنة في الصيام

المفتي: الشيخ محمد بخيت

السؤال

هل الاحتقان بالحقنة المعروفة الآن في العضدين أو الفخذين أو رأس الأليتين مفطر للصائم أم لا؟

الجواب

نفيد أنه صرح في متن التنوير وشرحه الدر المختار أن لو ادهن أو اكتحل لا يفطر ولو وجد طعمه في حلقه قال في رد المحتار عليه أي طعم الكحل أو الدهن كما في السراج وكذا لو بزق فواجد لزقه في الأصح بحر - قال في النهر لأن الموجود في حلقه أنه داخل من المسام الذي هو خلل البدن والمفطر إنما هو الداخل من المنافذ للاتفاق على أن من اغتسل في ماء لوجد برده في باطنه أن لا يفطر وانما كره الإمام الدخول في الماء والتلفف بالثوب المبلول لما فيه من إظهار الضجر في إقامة العبادة.

وبالجملة فالشرط في المفطر أن يصل إلى الجوف وأن يستقر فيه والمراد بذلك أن يدخل إلى الجوف ولا يكون طرفه خارج الجوف ولا متصلا بشيء خارج عن الجوف وأن يكون الوصول إلى الجوف من المنافذ المعتادة لأن المسام ونحوها من المنافذ التي لم تجر العادة بأن يصل منها شيء إلى الجوف.

ومن ذلك يعلم أن الاحتقان بالحقن المعروف الآن عملها تحت الجلد سواء كان ذلك في العضدين أو الفخذين أو رأس الإليتين أو في أي موضع من ظاهر البدن غير مفسد للصوم لأن مثل هذه الحقنة لا يصل منها شيء إلى الجوف من المنافذ المعتادة أصلا وعلى فرض الوصول فإنما تصل من المسام فقط وما تصل إليه ليس جوفا ولا في حكم الجوف والله تعالى أعلم

الفطر عمدا في رمضان

المفتي الشيخ: حسنين محمد مخلوف

السؤال

أرجو الإفادة فيمن قام للسحور فوجد أن ميعاد السحور انتهى وحل الفجر؛ فأكل لأنه لا يمكنه الصيام بدون سحور وأمسك بعد الأكل مباشرة عن كل ما يفطر إلى نهاية اليوم أي إلى الغروب

الجواب

إنه إذا دخل وقت الفجر في رمضان لا يجوز لمن وجب عليه الصوم الأكل والشرب والوقاع، ويجب

عليه الإمساك عن كل ذلك، فإذا أكل عامدًا بعد أن حل وقت الفجر فقد فسد صومه، ووجب عليه القضاء والكفارة في مذهب الحنفية وهي حسب الميسور الآن صيام شهرين متتابعين فإن لم يستطع فإطعام ستين مسكينا غداء وعشاء أو فطور وسحور مشبعين أو إعطاء كل مسكين نصف صاع من بر أو دقيق أو قيمة ذلك.

ومن هذا يعلم الجواب عن السؤال حيث كان الحال كما ذكر به والله تعالى أعلم

صوم أصحاب الحرف

المفتي: محمد خاطر

السؤال

من السيد / ع ع م المصري المقيم بالعراق بطلبه المتضمن أن السائل شاب مصري يعمل في بغداد بالعراق، وعندما حل شهر رمضان الماضي نوى الصيام ولم يستطع أن يصوم في أول يوم إلا لغاية الساعة العاشرة صباحا حيث درجة الحرارة مرتفعة جدا هناك، وظروف عمله تحتم عليه أن يكون أمام درجة حرارة (٢٤٥) درجة وحاول أن يكمل اليوم الأول فلم يستطع كما لم يستطع أن يصوم أي يوم منه بعد ذلك، لأن ظروف عمله والجو الحار الشديد الذي لم يتعود عليه كل هذه العوامل لا تمكنه من صيام شهر رمضان.

وطلب السائل بيان الحكم الشرعي في هذا الموضوع، وهل يحل له الإفطار شرعا أم لا وفى حالة إفطاره هل يجب عليه القضاء فقط أم القضاء والكفارة أم الكفارة فقط وفى حالة وجوب الكفارة هل يمكن أن يقوم بها أهله في مصر، أم يقوم هو بإخراج مبلغ من المال للفقراء والمساكين في محل إقامته وعمله، وماذا يدفع عن اليوم الواحد

الجواب

المقرر في فقه الحنفية أن الصحيح المقيم إذا اضطر للعمل في شهر رمضان وغلب على ظنه بأمارة أو تجربة أو إخبار طبيب حاذق مسلم مأمون أن صومه يفضى إلى هلاكه أو إصابته بمرض في جسمه، أو يؤدى إلى ضعفه عن أداء عمله الذي لا بد له منه لكسب نفقته ونفقة عياله فإن في هذه الحالة يباح له الفطر أخذا بما استظهره ابن عابدين من إباحة الفطر للمحترف الذي ليس عنده ما يكفيه وعياله.

وما نص عليه الفقهاء من إباحة الفطر للخباز ونحوه من أرباب الحرف الشاقة والواجب على هؤلاء العمال إذا أفطروا مع هذه الضرورة أن يقضوا ما أفطروه من رمضان في أوقات أخرى لا توجد فيها هذه الضرورة عندهم، فإن لازمتهم هذه الضرورة إلى أن ماتوا لم يلزمهم القضاء ولم يجب عليهم الإيصاء بالفدية.

وتطبيقا لذلك ففي الحادثة موضوع السؤال يجوز شرعا للسائل أن يفطر في رمضان لعدم استطاعته الصوم لأنه يعتبر من أصحاب الحرف الشاقة الذين أباح لهم الفقهاء الإفطار، ويجب عليه شرعا قضاء ما أفطره من رمضان في أوقات أخرى لا توجد فيها هذه الضرورة عنده، فإن لازمته هذه الضرورة إلى أن مات لم يلزمه القضاء، ولم يجب عليه الإيصاء بالفدية لأن وجوب الإيصاء فرع وجوب القضاء ولم يجب عليه القضاء في هذه الحالة.

وان اعتقد السائل أو غلب على ظنه أنه لن يزول عنه هذا العذر في يوم من الأيام فإنه في هذه الحالة يأخذ حكم الشيخ الفاني وتجب عليه الفدية وهي أن يطعم فقيرا عن كل يوم يفطره كالفطرة بأن يملكه نصف صاغ من بر أو صاغ من شعير أو تمر أو قيمة ذلك عند الحنفية،

ويقوم بالإطعام أو إخراج القيمة بنفسه أو ينيب عنه من يقوم بذلك. فإذا زال عنه العذر بأن عاد إلى العمل في جو يمكنه فيه الصيام وجب عليه شرعا أن يقضي ما أفطره.

ومن هذا يعلم الجواب إذا كان الحال كما ورد بالسؤال.

والله سبحانه وتعالى أعلم

الترفيه في رمضان

المفتي الشيخ: عطية صقر.

السؤال

ما حكم مشاهدة الأفلام وسماع الأغاني في نهار رمضان؟

الجواب

الحكم العام على مشاهدة الأفلام والمسرحيات والمسلسلات، وسماع الأغاني، أنها إن كانت هذه المشاهدات والمسموعات تحمل كلاما باطلا أو تدعو إلى محرم، أو كانت تؤثر تأثيرا ضارا على فكر الإنسان وسلوكه، أو صرفته عن واجب، أو صاحبها محرم كشرب أو رقص أو اختلاط سافر كانت حراما، سواء أكان ذلك في رمضان أم في غير رمضان. فإن خلت من هذه المحاذير كان الإكثار منها مكروها، ولا بأس بالقليل منها للترويح.

وشهر رمضان له طابع خاص، فهو قائم على صيام النفس عن شهواتها والتدريب على سيطرة العقل على رغباتها، وليس ذلك بالامتناع فقط عن الأكل والشرب والشهوة الجنسية، فذلك هو الحد الأدنى للصيام، لا يكتفي به إلا العامة الذين يعملون فقط لأجل النجاة من العقاب، مع القناعة بالقليل من الثواب. أما غيرهم فيحرصون على الكمال في كل العبادات، فيمسكون عن كل شهوات النفس وبخاصة ما حرم الله، كالكذب والغيبة، ويسمو بعضهم في الكمال فيصوم حتى عن الحلال، مقبلا على الطاعة في هذا الشهر بالذات، ليخرج منه صافي النفس والسلوك من الرذائل، متحلاي بالفضائل.

فلا ينبغي أن نضيع فرصة هذا الشهر الذي يضاعف فيه ثواب الطاعة، بصيام نهاره وقيام ليله بالتراويح وقراءة القرآن.

وضياع جزء كبير من الوقت في مشاهدة وسماع أنواع الترفيه خسارة للمؤمن العاقل. وعلى المسئولين جميعا أن يراعوا حرمة هذا الشهر، فيهيئوا الفرصة للصائمين والقائمين أن يتقربوا إلى الله بالطاعات بدل هذا اللهو الذي مللناه طول العام.

ومهما يكن من شيء فإن مشاهدة وسماع هذه الأشياء لا يبطل الصيام إلا إذا حدث أثر جنسي بسببها، ومع عدم البطلان فاتت فرص كثيرة لشغل الوقت بالعبادة وقراءة القرآن وسماع البرامج الدينية. يقول النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه الطبراني "أتاكم رمضان شهر بركة، لم يغشاكم الله فيه فينزل الرحمة ويحط الخطايا ويستجيب فيه الدعاء، ينظر الله إلى تنافسكم فيه ويباهى بكم ملائكته، فأروا الله من أنفسكم خيرا، فإن الشقي من حرم فيه رحمة الله عز وجل". فليكن تنافسنا في رمضان في الخير لا في اللهو ولا في الإقبال على الملذات.

مرض الربو مبيح للفطر شرعا

المفتي الشيخ: حسن مأمون

السؤال

من السيدة / م و ك قالت إنها مريضة بحساسية

في الدم منذ خمس سنوات، ويأتيها المرض على صورة زكام وانسداد في التنفس صيفا وشتاء وتستعمل نقطا للأنف كالماء، ولا تستطيع التنفس مطلقا بدونها، وفي حالة عدم استعمالها يحدث لها ربو صدري وفي السنوات الأربع الماضية كانت تصوم مع استعمال هذا الدواء.

وسألت هل تستمر في الصيام مع استعمالها لهذه النقط أم أن صيامها غير جائز.

وما هو الواجب اتباعه شرعا في هذه الحالة.

وهل يجوز لها الصيام مع الفدية

الجواب

إن مرض السائل الموصوف بالسؤال من الأمراض المبيحة للفطر شرعًا.

واستعمالها هذه النقط يفسد صومها لأنها تدخل من الأنف، والأنف والفم من المنافذ المعروفة التي يفسد الصوم كل ما يدخل الجوف عن طريقهما فالأكل والشرب وادخال نقط من الأنف تصل للحلق وتتسرب منه إلى الداخل كل ذلك مفسد للصوم لقوله عليه السلام الفطر مما دخل واذا استمرت حالتها كذلك طوال حياتها جاز لها أن تفدى بإطعام مسكين عن كل يوم من الأيام التي أفطرتها، وتأخذ حكم الشيخ الفاني الذي لا يستطيع الصيام، واذا برئت من مرضها وقدرت على الصيام وجب عليها القضاء ولا اعتبار للفدية التي تكون قد أخرجتها قبل ذلك، لأن شرط الانتقال من وجوب القضاء إلى الفدية استمرار العجز أو عدم استطاعة الصيام.

والله تعالى أعلم

جواز الفطر للضعيف المريض

المفتي الشيخ: حسن مأمون

السؤال

بالطلب المقدم من السيدة ك م م المتضمن انها سيدة ضعيفة ومريضة ولكنها متمسكة بدينها واذا صامت فقدت الوعى ولا تشعر إلا بالماء الذي يسكب عليها لإعادة وعيها وطلبت السائلة الافادة عما اذا كان يجوز لها الفطر شرعا وما هي الكفارة التي تفدى بها الصيام أن كان يجوز لها الفطر

الجواب

انه يجب الصوم على المكلف القادر عليه رجلا أو امرأة دون ضرر يلحقه أو مشقة ترهقه وقد أباح الشارع للمريض الذي يخاف الضرر على نفسه بزيارة المرض أو تأخر البرء أن يفطر ويقضى عدة ما أفطره من أيام أخر والمراد بخوف الضرر الذي يبيح الفطر هو تيقنه أو غلبة ظنه وذلك بالتجربة الشخصية أو اخبار الطبيب الأمين الذي لا يعرف بالتهاون الديني.

أما الخوف الناشئ عن مجرد الوهم أو التمثيل فلا يبيح الفطر فاذا كانت السائلة قد تيقنت أو غلب على ظنها بالتجربة الشخصية أو أخبار الطبيب الأمين أن الصوم يزيد مرضها أو يضرها جاز لها الفطر شرعا على أن تقضى ما فاتها صومه بعد الصحة واذا كان الطبيب قد أخبرها ان مرضها سيستمر طوال حياتها جاز لها أن تفدى بإطعام مسكين عن كل يوم من الأيام التي تفطرها وتأخذ حكم الشيخ الفاني الذي لا يستطيع الصيام فاذا برئت من مرضها وقدرت على الصيام وجب عليها القضاء ولا اعتبار للفدية التي تكون قد اخرجتها قبل ذلك لأنه يشترط لجواز الخلف وهو الفدية دوام العجز عن الصيام أما اذا كان الصوم لا يزيد من مرضها ولا يؤخر برأها وهي تستطيع الصوم بلا جهد ولا مشقة فلا يباح لها الفطر والله أعلم

ضوابط الهبة والهدية للأبناء

إعداد **الشيخ/ عادل شوشة**
فرع المنصورة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

تطلق الهبة على الهدية والعطية، والجميع داخل في باب البر والاحسان، والصلة والمعروف.

وقد شرع الله الهبة لما فيها من تأليف القلوب، وتوثيق عرى المحبة بين الناس، خاصة إذا كانت على قريب، أو جار، أو ذي عداوة، فقد تحصل الخصومات، ويقع التنافر والتدابر، وتنقطع صلة الأرحام، فشرع الله الهبة والهدية لتصفية القلوب، وإزالة كل ما يسبب الفرقة بين الناس، ويطهر النفوس من رذيلة البخل والشح والطمع، وتحصيل الأجر والثواب لمن فعلها ابتغاء وجه الله تعالى.

شروط الهبة:

يشترط لصحة الهبة ما يلي: أن يكون الواهب جائز التصرف.. وأن يكون مختاراً.. وأن يكون مالكاً للموهوب.. وأن يصدر منه ما يدل على الهبة. ويشترط في الموهوب: أن يكون موجوداً حقيقة.. وأن يكون مالاً متقوَماً.. وأن يكون مملوكاً للواهب.

حكم الهبة في مرض الموت:

المريض مرض الموت إذا وهب غيره هبة فحكم هبته كحكم الوصية، فلا تصح لوارث، ولا تصح لغير وارث بأكثر من الثلث إلا بإجازة الورثة لها بعد الموت. وإن وهب في مرض الموت

ثم شفي فالهبة صحيحة.

حكم الرجوع في الهبة:

من وهب لغيره هبة فلا يجوز له الرجوع فيها، إلا الوالد إذا وهب ولده فله الرجوع، ويجوز للأب أن يأخذ من مال ولده ما لا يضره ولا يحتاجه. عَن ابْن عُمَرَ وابْـن عَبَّاس رضِيَ الله عَنْهُمَا يرْفَعَان الحديث قال: لا يَحِل للرَّجُل أنْ يُعْطِي عَطيَّة ثمَّ يَرْجِعُ فيها إلا الوالِد فيما يُعْطِي ولدهُ. (صحيح: أخرجه أبو داود برقم (٣٥٣٩).

طريقة توزيع الهبة بين الأبناء:

أمر النبي صلى الله عليه وسلم بالعدل في الهبات التي تعطى للأولاد، كما في حديث النُّعْمَان بْن بشير رضِيَ الله عَنهُمَا قال: أعْطاني أبي عطيَّة، فقالت عمْرةُ بنْت رواحة: لا أرْضَى حتَى تشهد رسُول الله صلى الله عليْه وسلّم، فأتَى رسُول الله صلى الله عليْه وسلم فقال: إني أعْطيْتُ ابْني منْ عمْرة بنْت رواحة عطيّة، فأمرتْني أنْ أشهدك يا رسُول الله، قال: أعْطيْت سائر ولدك مثْل هذا، قال: لا، قال: فاتّقوا الله واعْدلوا بيْن أوْلادكمْ، قال: فرجع فردّ عطيّته. (البخاري (٢٥٨٧)).

وفي رواية لمسلم: فلا تشهدني إذا فإني لا أشهد على جور. (مسلم (١٦٢٣)).

وفي أخرى عند مسلم: «أفكلّهُمْ أعْطيْت مثْل ما أعْطيْتهُ؟ قال: لا. قال: فليْس يصْلحُ هذا، وإني لا أشْهدُ إلا على حقّ» (مسلم (١٦٢٤)).

وفي ثالثة عند مسلم: أكُل بنيك قدْ نحلْت مثْل ما نحلت النُّعْمانَ؟ قال: لا. قال: فأشْهدْ عَلَى هَذَا غَيْري. ثُمَّ قَالَ: أيَسُرُّكَ أنْ يَكُونُوا إلَيْكَ في الْبِرِّ سَوَاءً. قَالَ: بَلَى. قَالَ: فَلا إذا. (مسلم (١٦٢٣))

أهمية العدل بين الأبناء:

في العدل امتثال لأمر الله تعالى، وفيه تأْليفُ القُلوب، والتَّفْضيل يُورثُ الوَحْشَة بَيْنَهُمْ، ولأنَ عدم العدل يُفضي إلى العقوق فيقول من حُرم أو نُقص أبي ظلمني وفضّل أخي عليَّ ونحو ذلك فيتسلل إلى نفسه شيء من الكراهية لأبيه. ومن الناحية الأخرى يزرع الشيطان بذور الشحناء بينه وبين أخيه الآخر الذي أعطي أكثر منه وقد جاءت الشريعة بسدّ كل طريق يوصل إلى الحقد والشَّحْناءُ والعداوة والبغضاء بين المسلمين عموما فكيف بالأخ تجاه أخيه وشقيقه.

لذا أكّد العلماء على ضرورة بالعدل بين الأولاد، والسوية بينهم في كل أمور المعاملة، حتى النظرة الحانية، والقبلة العطوف، وذلك تفاديا من التحاسد واشتعال نيران الغيرة والتحاقد بين أبناء البطن الواحدة؛ فقد يحقدون حتى على أبيهم نفسه. والأب مدعو بألا يتعاطى من الأسباب ما يثير شيطان العقوق في نفس أبنائه.

فالواجب على الآباء العدل بين أبنائهم في الأمور الظاهرة المحسوسة التي يعرفها الأبناء ويحسونها حتى في الحب الظاهر، أما إن كان في القلب ميل لأحدهم أكثر من غيره فلا حرج، بشرط ألا يظهر له أثر في المعاملة الظاهرة.

وما جاءت هذه الأوامر والتوجيهات في الحث

على العدل بين الأبناء من رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا لأهمية هذه القضية في مجال التربية، ومنعاً للحسد والتباغض بين الإخوة؛ فقد اتفق الباحثون على أن أشد العوامل إثارة للحسد في نفوس الأطفال هو تفضيل أخ على أخ أو أخت أو العكس، والموازنة بين الواحد والآخر أمام عينيه، أو على مسمع منه.

لهذا كان على الأب المسلم أن يتجنب أسباب التباغض والتحاسد بين أولاده بإقامة العدل بينهم، وتوزيع محبتهم وحنانه عليهم، وان كان ذلك صعباً في بعض الأحيان للغفلة أو النسيان، أو للميل الفطري إلى الابن الأصغر مثلاً، أو إلى المطيع منهم، ولكن لابد للوالد أن يلاحظ ذلك من نفسه، وأن ينتبه له؛ فإن الأطفال يحسون ذلك ويعونه، ويدركون مظاهر التفريق في المعاملة، فإن لم يتدارك الوالد تحسين الوضع، ورد الأمور إلى نصابها في إقامة العدل بينهم؛ فإن الولد المظلوم ربما نهج السلوك العدواني مع إخوانه انتقاماً لنفسه، أو ربما أثر ذلك عليه وسبب له ضعفاً في التحكم في إفرازاته إلى غير ذلك من مظاهر سوء التوافق النفسي الذي يمكن أن يصاب به الطفل المنبوذ.

حالات يجوز فيها التفضيل بين الأولاد في الهبات:

قد تكون هناك -في بعض الأحيان- عوارض تحمل على التمييز بين الأولاد في الهبة وايثار بعضهم بشيء دون الآخرين، فمن ذلك مثلاً: رجل له أولاد منهم ولد زمن (أي مريض مرضاً مستديماً)؛ فآثر هذا الولد بشيء من الهبة عن إخوانه، فله ذلك، والله أعلم.

كذلك رجل له ولدان أحدهما بار راشد تقي والآخر فاجر شقي غوي؛ الأول ينفق أمواله في أعمال البر والخير والطاعات، والثاني ينفق أمواله في أعمال الخنا والزنا والخمر والفواحش؛ فآثر الأول بشيء من الهبة دون غيره، فله ذلك؛ لقول الله تبارك وتعالى: «وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَىٰ وَلَا تَعَاوَنُوا عَلَى الْإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ» (المائدة: ٢)، ولقوله سبحانه: «وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ» (البقرة: ٢٠٥)، ولقول النبي صلى الله عليه وسلم: انصُرْ أخاكَ ظالمًا أو مظلومًا، قالوا: يا رسُولَ اللَّه، هذا نَنْصُرُهُ مظلومًا، فكيفَ نَنْصُرُهُ ظالمًا؟ قال: تأْخُذُ فوقَ يديْه. (البخاري (٢٤٤٤)).

أو كرجل له أولاد عدد منهم يتعلم في الجامعات ويكلف أباه أموالاً طائلة، والآخر يعمل مع والده في الحقل ولا يدخر لنفسه شيئاً فيجوز حينئذ أن يعوض هذا الذي يعمل معه بشيء من الهبة حتى يتكافأ مع الآخر، والعلم عند الله تبارك وتعالى. (فقه تربية الأبناء صـ١١٢).

وعليه إذا أعطى الإنسان أحد أولاده لسبب خاص من حاجة، أو زمانة، أو مرض، أو عجز، أو كثرة أولاد، أو لانشغاله بالعلم ونحوه، فيجوز التخصيص من أجل ذلك، ويحرم ذلك على سبيل الأثرة.

قال الإمام ابن قدامة رحمه الله تعالى: "لو خص المشتغلين بالعلم من أولاده بوقفه، تحريضاً لهم على طلب العلم، أو ذا الدين دون الفساق، أو المريض أو من له فضل من أجل فضيلته، فلا بأس، وقد دل على صحة هذا أن أبا بكر الصديق- رضي الله عنه- نحل عائشة جذاذ عشرين وسقاً دون سائر ولده، وحديث عمر، أنه كتب: بسم الله الرحمن الرحيم، هذا ما أوصى به عبد الله أمير المؤمنين، إن حدث به حدث، أن ثمغا وصرمة بن الأكوع، والعبد الذي فيه، والمائة سهم التي بخيبر، ورقيقه الذي فيه، الذي أطعمه محمد- صلى الله عليه وسلم- بالوادي، تليه حفصة ما عاشت، ثم يليه ذو الرأي من أهلها، أن لا يباع ولا يشترى، ينفقه حيث رأى من السائل والمحروم وذوي القربى، لا حرج على من وليه إن أكل أو آكل أو اشترى رقيقاً منه. (أبو داود (٢٨٧٩)، "قال الألباني": صحيح وجادة).

وفيه دليل على تخصيص حفصة دون إخوتها وأخواتها. (المغني لابن قدامة (١٩/٦)).

والحمد لله رب العالمين.

دروس من الصيام

إعداد **الشيخ/ إبراهيم حافظ رزق**

فرع منشأة البكاري

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

فقد شرع الله الصوم وكتبه على هذه الأمة كما كتبه على الأمم السابقة، فنادى الله المؤمنين من هذه الأمة أمرًا لهم بصيام شهر رمضان، فقال تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٣)، ثم حدد سبحانه شهر الصيام بقوله تعالى: «شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ» (البقرة: ١٨٥).

- والصوم هو أحد أركان الإسلام الخمسة التي فرضها الله على أهل الإسلام كما جاء في الحديث الصحيح عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «بُني الإسلام على خمس: شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمداً رسول الله، واقام الصلاة وايتاء الزكاة، وحج البيت، وصوم رمضان». متفق عليه. وقد فرض الصوم في السنة الثانية من الهجرة.

والصوم لغة: هو الإمساك والامتناع، وفي الشرع ترك المفطرات الحسية من شهوتي البطن والفرج من طلوع الفجر إلى غروب الشمس بنية التعبد لله سبحانه وتعالى: يقول تعالى «وَكُلُوا وَاشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الْخَيْطُ الْأَبْيَضُ مِنَ الْخَيْطِ الْأَسْوَدِ مِنَ الْفَجْرِ ۖ ثُمَّ أَتِمُّوا الصِّيَامَ إِلَى اللَّيْلِ» (البقرة: ١٨٧).

- وليس المقصود من الصوم تهذيب الصائمين بالجوع والعطش، وإنما المقصود طاعة الله وتعظيم حرماته، وجهاد النفس، وتعويدها على الالتزام بأوامر الله، والصبر على الطاعة، فليس المقصود مجرد ترك الطعام والشراب وسائر المفطرات، ولذلك صح الحديث عن النبي صلى الله عليه وسلم: «من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أمر يدع طعامه وشرابه». (رواه البخاري).

وفي البخاري ومسلم من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابّه أحد أو قاتله فليقل: إني صائم».

- ولذلك يجب أن تصوم جوارح العبد عن المعاصي، فيصوم اللسان عن اللغو والكذب والفاحش من القول والغيبة والنميمة والوقوع في أعراض الناس، وتصوم العين من النظر إلى الحرام، أو النظر إلى الصور الخليعة، ومشاهدة الأفلام والمسلسلات والفوازير، وكذلك ينبغي أن تصوم الأذن عن سماع اللغو من الكلام كالغناء ونحوه، أو التجسس على عباد الله، والتصنت على أحاديثهم وأخبارهم، ولذلك ورد عن جابر بن عبد الله رضي الله عنها: «إذا صمت فليصم سمعك وبصرك ولسانك، ودع أذى الجار، ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء».

والعبادات في الإسلام ليست طقوساً تؤدى دون هدف أو معرف، وإنما لكل عبادة هدف تدعو إليه، ونتيجة توصل إليها، فشهادة التوحيد

معناها إفراد الله تعالى بالعبادة والوحدانية، فحين ينطق المرء بكلمة التوحد لا إله إلا الله فهو ينفي الألوهية عن كل ما سوى الله ويثبتها لله وحده سبحانه وتعالى.

والصلاة هدفها وصل الإنسان بربه ركنه عن إتيان الفاحشة والمنكر، والزكاة يُقصد منها تطهير نفس صاحب المال من البخل والشح، وتزكية المال وتنميته.

ويأتي الصوم ليعلم الإنسان دروسًا في تقوى الله عز وجل، ومراقبته في السر والعلن، واخلاص العمل له سبحانه، يقول تعالى: «يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٣). وفي ختام الحديث عن الصيام يقول تعالى: «كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ» (البقرة:١٨٧).

فالصائم يراقب ربه في سره وجهره، فربما دخل الانسان بيته فأغلق عليه بابه فأكل وشرب وجامع زوجته دون أن يراه أحد من الناس، ولكنه لما علم أن الله يراقبه ويراه امتنع عن كل ذلك؛ طلبًا لرضا الله، وتجنبًا لسخطه، ورجاء ما عنده الله سبحانه وتعالى، وفي الحديث الصحيح: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به».. (رواه البخاري ومسلم).

وتقوى الله هدف الصيام الأول هي التي تحرس قلب الصائم عن الوقوع في المعاصي؛ لأن أهل التقوى والإيمان يعلمون مقام المتقين عند الله وما أعد لأهلها من الجزاء في الدنيا والآخرة، فبالتقوى ينال المرء ولاية الله، أي يصبح المرء وليًا لله يتولاه الله برعايته وتأييده وتوفيقه، يقول تعالى: «ألا إنَّ أَوْلِيَاءَ اللهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ ولا هُمْ يَحْزَنُونَ ٦٢ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ٦٣ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ» (يونس: ٦٢-٦٤). فلما علم أهل الإيمان ذلك كان صومهم أداة من أدوات التقوى وطريقًا يوصلهم إليها.

- ويتعلم المسلم من الصيام الصبر على طاعة الله حين يمثل أمره بالامتناع عما أحله الله؛ لأن في ذلك ورضا لله سبحانه وتعالى، وهو- أي المسلم- يُصبرُ نفسه له على عدم الوقوع في معصية الله لما في ذلك من سخطه عز وجل، كذلك هو يصبر على ما يصيبه من ألم الجوع والعطش وضعف النفس والبدن، فإذا كان المرء يترك ما أحله الله طاعة لله فالأولى به والأجدر أن يترك ما حرم الله عليه، ويكون ذلك أيسر عليه، وأهون على نفسه، يقول تعالى: «بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ» (التوبة: ١٢٠).

ولحكمة يعلمها الله سبحانه بعد أن ذكر أحكام الصيام في سورة البقرة ختم الحديث عن الصيام بقوله سبحانه وتعالى: «وَلَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا إِلَى الْحُكَّامِ لِتَأْكُلُوا فَرِيقًا مِّنْ أَمْوَالِ النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ» (البقرة:١٨٨). فلا يُعقل أن يتقرب الإنسان إلى الله بترك المباحات، ثم يقع في المحرمات وأكل أموال الناس بالباطل.

- وشهر رمضان فرصة للتوبة والإنابة والرجوع إلى الله عز وجل وفرصة للتنافس في عمل الخير والاجتهاد في أنواع العبادة من صلاة النافلة وقراءة القرآن، والإكثار من الذكر والاستغفار، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والدعوة إلى الله، ومواساة الفقير والمسكين والتوسعة عليهم، فالله سبحانه ينظر إلى تنافس العباد في عمل الخير في هذا الشهر ويضاعف ثواب تلك الأعمال للصائمين. وفي حديث الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، مكفرات لما بينهن؛ إذا اجتنبت الكبائر».

فالواجب على المسلم أن يصوم هذا الشهر مؤمنًا بفرضيته محتسبًا لأجر صومه عند الله، فالمسلم لا يصوم رياءً أو سمعة أو تقليدًا للأهل، أو عادة، بل يصوم عبادة وقربة إلى الله؛ ففي الحديث: «من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه...» (البخاري ومسلم).

تقبل الله منا ومنكم صالح الأعمال، وصلى الله على نبينا محمد وآله وأصحابه أجمعين.

أعمال البر في رمضان

إعداد **الشيخ عبده أحمد الأقرع**
فرع أختاواي

الحمد لله وحده، وأصلي وأسلم على من لا نبي بعده سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

وبعدُ، فإن من أعظم آلاء الله على عباده: ما شرع لهم من العبادات العظيمة، والمواسم الكريمة التي بها تزكو نفوسهم، وتمتلئ خيراً وصلاحاً، وبركة ونماء، وتشع نوراً وضياء، وتتلألأ إشراقاً وصفاء.

وإن من أجل هذه المناسبات زمنًا، وأعظمها قدراً، وأبعدها أثراً: ما منَّ الله به على أمة الإسلام شهر رمضان، شهر مضاعفة الحسنات، ورفعة الدرجات ومغفرة الذنوب والسيئات، وإقالة العثرات، «فيه تُفتح أبواب الجنة، وتغلق أبواب النار، وتصفد الشياطين ومردة الجن، وينادي مناد كل ليلة: يا باغي الخير أقبل، ويا باغيَ الشر أقصر، ولله عتقاء من النار، وذلك كل ليلة». (صحيح الجامع: ٧٥٩).

وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصي باغتنام مثل هذه الفرص التي هي أغلى من كل نفيس أن يتعرض فيها العبد لنفحات الله عز وجل. قال صلى الله عليه وسلم: «افعلوا الخير دهركم؟ وتعرضوا لنفحات رحمة الله، فإن لله نفحات من رحمته يصيب بها من يشاء من عباده، وسلوا الله أن يستر عوراتكم، ويؤمِّن روعاتكم». (الصحيحة: ١٨٩٠).

فحريّ بالمسلمين جميعًا أن يستجمعوا

الفرصة، فكم من مؤمل أنه تسلمه الأيام إلى رمضان لتكون له به الخطوة فقعد به الأجل عند بلوغ الأمل. فقد بكى أحد الصالحين عند موته، فلما سُئل؟ قال: «إنما أبكي على أن يصوم الصائمون لله ولست فيهم، ويصلي المصلون ولست فيهم». فاستشعر هذا-أخي- ولا تستكثر عليك هذا التصور، فكم غيَّب الموت من صاحب، وواری الثری من حبیب، فاحزم أمرك وسارع في الخيرات ونافس في الطاعات امتثالا لأمر مولاك عز وجل: «فَٱسْتَبِقُوا۟ ٱلْخَيْرَٰتِ ۚ أَيْنَ مَا تَكُونُوا۟ يَأْتِ بِكُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ» (البقرة: ١٤٨).

ومدح الله أهل السبق في الخيرات. فقال عز وجل: «والَّذين يُؤتون ما آتَوا وقُلوبُهم وجِلَةٌ أنَّهم إلى ربِّهم راجعون ٦٠ أولئك يُسارعون في الخيرات وهُم لها سابقون» (المؤمنون: ٦٠، ٦١).

وقال عز وجل: «ومِنهُم مُقتصدٌ ومِنهُم سابقٌ بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير» (فاطر: ٣٢)، وقد حثَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم على علو الهمة، فقال صلى الله عليه وسلم: «إنَّ في الجنة مائة درجة أعدها الله للمجاهدين في سبيل الله، ما بين درجتين كما بين السماء والأرض، فإذا سألتم الله فاسألوه الفردوس؟ فإنه أوسط الجنة وأعلى الجنَة، وفوقه عرش الرحمن، ومنه تفجَر أنهار الجنة» (البخاري: ٢٧٩٠).

فعلو الهمة: هو الذي يُبلغ الإنسان ما يريدُ من الكمال والمجد والسؤدد والرفعة، وشهر رمضان فرصة لعلو الهمة لأعمال البر، وقد مدح الله أهل البر، فقال عز وجل: «لكنِ الَّذينَ اتَّقَوا ربَّهُم لهُم جنَّاتٌ تَجري من تَحتِها الأنهارُ خالدينَ فيها نُزُلًا مِن عند الله وما عندَ الله خيرٌ للأبرار» (آل عمران: ١٩٨)، وقال سبحانه: «إنَّ الأبرار يَشربُون من كأسٍ كانَ مِزاجُها كافورًا ٥ عينًا يَشربُ بها عبادُ الله يُفجِّرونها تفجيرًا» (الإنسان: ٥، ٦).

وقال عز وجل: «إنَّ الأبرار لفي نعيم» (الانفطار:١٣)، وقال عز وجل: «كَلَّآ إِنَّ كِتَٰبَ ٱلْأَبْرَارِ لَفِى عِلِّيِّينَ ⑱ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ⑲ كِتَٰبٌ مَّرْقُومٌ ⑳ يَشْهَدُهُ ٱلْمُقَرَّبُونَ ㉑ إِنَّ ٱلْأَبْرَارَ لَفِى نَعِيمٍ ㉒ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ يَنظُرُونَ ㉓ تَعْرِفُ فِى وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ ٱلنَّعِيمِ ㉔ يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ ㉕ خِتَٰمُهُۥ مِسْكٌ ۚ وَفِى ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ ㉖ وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ ㉗ عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا ٱلْمُقَرَّبُونَ» (المطففين: ١٨-٢٨).

والأبرار هم الذين جمعوا بين العقيدة الصحيحة والعمل الصالح. قال الله تعالى: «لَّيْسَ ٱلْبِرَّ أَن تُوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ ٱلْمَشْرِقِ وَٱلْمَغْرِبِ وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَٰبِ وَٱلنَّبِيِّۦنَ وَءَاتَى ٱلْمَالَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ ذَوِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَٱلسَّآئِلِينَ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَأَقَامَ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَى ٱلزَّكَوٰةَ

وَٱلۡمُوفُونَ بِعَهۡدِهِمۡ إِذَا عَٰهَدُواْۖ وَٱلصَّٰبِرِينَ فِي ٱلۡبَأۡسَآءِ وَٱلضَّرَّآءِ وَحِينَ ٱلۡبَأۡسِۗ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُتَّقُونَ » (البقرة: ١٧٧). وقد أمر الله سبحانه بالتعاون على البر والتقوى فقال: « وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى » (المائدة: ٢). وامتثالاً لأمر الله عز وجل نذكر ببعض أعمال البر في شهر رمضان شهر الصبر والبركات.

منها: الجود وفعل المعروف:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: « كَانَ رَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَجْوَدَ النَّاسِ وَكَانَ أَجْوَدُ مَا يَكُونُ فِي رَمَضَانَ حِينَ يَلْقَاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، وَكَانَ جِبْرِيلُ يَلْقَاهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ، فَيُدَارِسُهُ الْقُرْآنَ، فَلَرَسُولُ اللَّه صلى الله عليه وسلم أَجْوَدُ بِالْخَيْرِ مِنَ الرِّيحِ الْمُرْسَلَةِ ». (متفق عليه: صحيح البخاري: ٣٥٥٤ واللفظ له، ومسلم: ٢٣٠٨).

ومنها: صلاة القيام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « مَنْ قَامَ رَمَضَانَ إِيمَانًا وَاحْتِسَابًا غُفِرَ لَهُ مَا تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ». (متفق عليه: البخاري: ٣٧، ومسلم: ٧٥٩).

وقال صلى الله عليه وسلم: « إنَّ الرجل إذا صلَّى مع الإمام حتى ينصرف كتب له قيام ليلة ». (صحيح الجامع: ١٦١٥).

ومنها: تلاوة القرآن:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « اقرؤوا القرآن، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ». (مسلم: ٨٠٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: « من قرأ حرفاً من كتاب الله فله حسنة، والحسنة بعشر أمثالها، لا أقول: الم حرف، ولكن: ألف حرف، ولام حرف، وميم حرف ». (صحيح الترغيب: ١٤١٦).

ومنها: الدعاء:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « ثلاث دعوات مُستجابات: دعوة الصائم، ودعوة المظلوم، أو دعوة المسافر ». (صحيح الجامع: ٣٠٣٠).

وقال صلى الله عليه وسلم: « إنَّ الدعاء ينفعُ مما نزل ومما لم ينزل، فعليكم عباد الله بالدعاء ». (صحيح الترغيب: ١٦٣٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: « لا يردُّ القضاء إلا الدعاء، ولا يزيد في العمر إلا البر ». (صحيح الجامع: ٧٦٨٧).

ومنها: المحافظة على الصلوات في جماعة، وإدراك تكبيرة الإحرام:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صلى الله أربعين يوماً في جماعة، يدرك التكبيرة الأولى، كُتب له براءتان: براءة من النار، وبراءةٌ من النفاق ». (صحيح الجامع: ٦٣٦٥).

ومنها: جلوس المرء في مصلاه بعد صلاة الصبح وصلاة العصر:

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « من صلى الصبح في جماعة، ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس، ثم صلى ركعتين كانت له كأجر حجة وعمرة ». قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: « تامة، تامة، تامة ». (صحيح الترغيب: ٤٦٤).

وقال صلى الله عليه وسلم: « لأن أقعد مع قوم يذكرون الله، من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس، أحب إليَّ من أن أعتق أربعة من ولد إسماعيل، ولأن أقعد مع قوم يذكرون الله من صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس، أحب إليَّ من أن أعتق أربعة ». (صحيح الترغيب: ٤٦٥).

ومنها: صلاة الضحى:

عن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها قالت: « كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يصلي الضحى أربعاً، ويزيدُ ما شاء ». (رواه مسلم:).

وقال صلى الله عليه وسلم: « من صلى الضحى أربعاً، وقبل الأولى أربعاً، بُني له بيت في الجنة ». (صحيح الجامع: ٦٣٤٠). والمراد بـ(الأولى) يعني: قبل الظهر.

ومنها: عمرة في رمضان:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «عُمرة في رمضان تعدل حجة». (صحيح الجامع: ٤٠٩٧).

وقال صلى الله عليه وسلم: "عُمْرة في رمضان كحجة معي". (صحيح الجامع: ٤٠٩٨).

ومنها: تفطير صائم:

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «مَن فطّر صائماً كان له مثل أجره، غير أنه لا ينقُص أجر الصائم شيئاً» (صحيح الجامع: ٦٤١٥).

ومنها: أعمال إذا اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة:

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «من أصبح منكم اليوم صائماً؟» فقال أبو بكر أنا. فقال: «من أطعم منكم اليوم مسكيناً؟» فقال أبو بكر أنا. فقال: «من تبع منكم اليوم جنازة؟» فقال أبو بكر: أنا. فقال: «من عاد منكم اليوم مريضاً؟» فقال أبو بكر: أنا. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ما اجتمعن في امرئ إلا دخل الجنة» (مسلم: ١٠٢٨).

وعن أبي مالك الأشعري رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «إن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وتابع الصيام، وصلى بالليل والناس نيام». (صحيح الترغيب: ٨٦٨).

وقال صلى الله عليه وسلم لمعاذ رضي الله عنه: «ألا أدلك على أبواب الخير؟» قلت: بلى يا رسول الله. قال: «الصوم جُنَة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار». (صحيح الترغيب: ٨٧٢).

وقال صلى الله عليه وسلم: «الصدقة تُطفئ غضب الرب، وصلة الرحم تزيدُ في العمر، وفعل المعروف يقي مصارع السوء». (صحيح الجامع: ٣٧٦٠).

وعن كعب بن عجرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال له: «يا كعب بن عجرة: الصلاة قربان، والصيام جُنة، والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، يا كعب بن عجرة: الناسُ غاديان: فبائعٌ نفسه فموبقٌ رقبته، ومبتاعٌ نفسه في عتق رقبته». (صحيح الترغيب: ٨٦٦).

وحسبنا قول الله عز وجل: «لَن تَنَالُواْ الْبِرَّ حَتَّى تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ اللّهَ بِهِ عَلِيمٌ» (آل عمران: ٩٢) قال الشيخ السعدي: يعني: لن تنالوا وتدركوا البر، الذي هو: اسمٌ جامع للخيرات، وهو الطريق الموصل إلى الجنّة، حتى تنفقوا مما تحبون، من أطيب أموالكم وأزكاها.

فإن النفقة من الطيب المحبوب للنفوس من أكبر الأدلة على سماحة النفس، واتصافها بمكارم الأخلاق، ورحمتها، ورقتها، ومن أول الدلائل على محبة الله وتقديم محبته على محبة الأموال، التي جبلة النفوس على قوة التعلق بها، فمن آثر محبة الله على محبة نفسه فقد بلغ الذروة العليا من الكمال، وكذلك من أنفق من الطيبات، وأحسن إلى عباد الله، أحسن الله إليه ووفقه أعمالاً وأخلاقاً، وسيجزي الله كل منفق بحسب عمله، سيجزيه في الدنيا بالخلف العاجل، وفي الآخرة بالنعيم الآجل). (تيسر الكريم الرحمن ١/٣٩٩، ٤٠٠).

فعلى المسلم أن يسعى في أعمال البر سعياً محتسباً لله تعالى؛ قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «صنائع المعروف تقي مصارع السوء، والآفات، والهلكات، وأهل المعروف في الدنيا أهل المعروف في الآخرة». (صحيح الجامع: ٣٧٩٥).

اللهم اجعلنا من أهل المعروف في الدنيا والآخرة، وحبِّب إلينا أعمال البر وأعنا عليها.

السياق وتنوع أوصاف العذاب في القرآن الكريم

إعداد
د. عبد الرحمن فودة
أستاذ البلاغة جامعة القاهرة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على رسول الله المبعوث رحمة للعالمين. أما بعد، فقد بينت أخي الكريم في المقال السابق دور السياق في إيثار وصف "الشديد" دون غيره من أوصاف العذاب، أسأل الله لي ولك السلامة من كل سوء. وسُقنا على ذلك أمثلة تحليلية. وفي هذا المقال بعون الله وتوفيقه نتناول وصف "العظيم".

الوصف الثالث: «عظيم»:

ورد هذا الوصف خمس عشرة مرة، ثلاث عشرة فيها في عذاب الآخرة، وثنتان محتملتان لعذاب الدنيا والآخرة. ووقعت جميعها فاصلة.

ومعنى (عظم) في اللغة كبر، فالعظم من (عظم)، وعُظم الرجل: خشبة بلا أنساع. وعظم الشيء: أصله: كَبُر عظمه. ثم استُعير لكل كبير، فأجرى مجراه محسوسًا كان أو معقولاً، عينًا كان أو معنى، والعظيم إذا استعمل في الأعيان فأصله أن يقال في الأجزاء المتصلة. وقد يقال في المنفصل: عظيم. نحو: جيش عظيم، ومال عظيم. وذلك في معنى الكثير. والعظيمة: النازلة. وهي مادة تدل على الكبر والقوة، وقد استدل ابن فارس على ذلك بقول الشاعر:

فإن تنجُ منها تنجُ من ذي عظيمة
والا فإني لا أخالك ناجيا

ويؤكد هذا استعمال القرآن هذا الوصف (عظيم) في أمور منها: (الأجر، والفوز،

والحظ، والعرش، وتعظيم الحرمات، والبلاء، والذبح، والظلم، والإثم والبهتان والكرب والحنث والخزي والميل).

وقد تساءل السيوطي قائلاً: فإن قلت: لمَ وصف الفداء بالعظمة؟ في قوله تعالى: «وفديناه بذبح عظيم» (الصافات: ١٠٧).

وأجاب: "لكيلا يدخل في حد محدود، إذ لو كان محدودًا لوجب الافتداء به، وكذلك سائر المسلمين، وكان فيه مشقة. وقيل: لأنه من عند الله.

وانظر كيف وصفه بالعظمة مع أنه وصف نفسه وكتابه والأجر بالعظيم، والفوز العظيم، والعذاب العظيم، والظلم عظيم، والبهتان عظيم، وكيد النساء عظيم، وزلزلة الساعة شيء عظيم، والعرش العظيم. وقال: «أَن تَمِيلُوا۟ مَيْلًا عَظِيمًا» (النساء: ٢٧)، «ٱفْتَرَىٰٓ إِثْمًا عَظِيمًا» (النساء: ٤٨)، «وتحسبونه هينا وهو عند الله عظيم» (النور: ١٥).

والعظيم: بلوغ الغاية القصوى في الشيء، فإن كان عذابًا فغاية العذاب القصوى من الضرر. والذين يسارعون إلى المعاصي والجحود لهم عذاب عظيم؛ لأن المسارعة تكون لأمر هائل، وهذا من العذاب المستحق للكافرين والمنافقين، وهم أشد المعذبين بصنوف العذاب المختلفة؛ لمسارعتهم في الكفر ونفاقهم وجحودهم. يلاحظ في المرتين المحتملتين العذاب، وهما قوله تعالى: «لَمَسَّكُمْ فِيمَآ أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (الأنفال: ٦٨)، وقوله تعالى: «لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (النور: ١٤) إن الآيات فيها تحذيرات شرعية ووعيد وتهديد في أمور يجب اجتنابها. وقد تكرر وصف (عظيم) في سورة النور- وهي مدنية- أربع مرات. فجاء الوصف متناغمًا ومتلائمًا مع ما يقتضيه السياق من ترسيخ مسائل الشرع.

والتحذير يلائمه لفظة: (لمسكم) المقترن بالأخذ، وهو الشروع في الشيء، أو الإفاضة، وهو نشر الحديث، الأخذ شروع في عمل أو بداية، وكأنهم بدأوا في التحدث بحديث الإفك.. والمس شروع أيضًا في تعذيبهم وهو دون الإصابة، والإفاضة باللسان نشر وتوسيع لرقعة الكلام، ويلاحظ عظم العذاب مع عظم الجُرم، ولذلك كان من المناسب أن تختم بعقوبة العذاب العظيم المشتمل على الألم والشدة والإيجاع والكبر مع مجيئه على زنة فعيل للدلالة على ثبات هذا العذاب ودوامه.

والعظيم: ضد الحقير، فهو فوق الكبير الذي هو ضد الصغير، وهو وصف نكرة لموصوف نكرة هو (عذاب) للإشارة إلى أنه نوع من العذاب مجهول عند أهل الدنيا بناء على أن المراد به عذاب الآخرة الغيب. وهو تنكير يفيد التعظيم والتهويل في الكم والكيف فهو شديد الإيلام وطويل المدة.

ونود فيما يلي أن نتوقف إزاء بعض أمثلة الوصف:

قال تعالى: «خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْ ۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَـٰرِهِمْ غِشَـٰوَةٌ ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (البقرة: ٧).

وردت هذه الآية في سياق الحديث عن الذين كفروا الذين طُبع على قلوبهم وعلى أبصارهم غشاوة. والمعنى: على أبصارهم ضرب من الغشاوة خارج عما يتعارفه الناس، وهي غشاوة التعامي عن الآيات. ومن الآلام العظام نوع عظيم لا يبلغ كنهه ولا يدرك غايته إلا الله عز وجل.

وفي الجملة تقديم يفيد أن العذاب مقصور عليهم ومحصور فيهم ومختص بهم دون غيرهم ولذلك كان عذابًا عظيمًا. "وفي تأخيره تربية للمهابة وادخال للرعب والذعر ما لا يخفى.

المثال الثاني:

قال الله تعالى: «وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن مَّنَعَ مَسَٰجِدَ ٱللَّهِ أَن يُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ وَسَعَىٰ فِى خَرَابِهَآ أُو۟لَٰٓئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَن يَدْخُلُوهَآ إِلَّا خَآئِفِينَ لَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا خِزْىٌ وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (البقرة: ١١٤).

لما كان تخريب المساجد أمرًا عظيمًا عوقب هؤلاء بإتلاف هياكلهم وصورهم. «ولهم في الآخرة عذاب عظيم». ولعل هناك تشابهًا بين هذه الآية وآية الحج: «إنَّ الذين كفَروا ويَصُدُّون عن سَبيل الله والمَسْجد الحَرام الذي جعَلْناهُ للنَّاس سَواء العَاكف فيه والبَاد ومَن يُرِدْ فيه بإلحاد بظُلم نُذِقْهُ من عذاب أليم». غير أن آية الحج فيها الصد عن المسجد الحرام خصوصًا وارادة الإلحاد فيه بظلم. أما هنا فقد تلبس هؤلاء الظالمون بمنع المساجد مطلقًا أن يُذكر فيها اسم الله، وسعوا في خرابها. فناسب أن يكون لهم تلبس هؤلاء الظالمون بمنع المساجد مطلقًا من أن يذكر فيها اسم الله وسعوا في خرابها. فناسب أن يكون لهم في الآخرة عذاب عظيم يناسب فداحة ما ارتكبوه في حق بيوت الله وقصادها.

قال أبو حيان: «هذا الجزء مناسب لما صدر منهم. أما الخزي في الدنيا فهو الهوان والإذلال لهم. وهو مناسب للوصف؛ لأن فيه إخماد المساجد بعدم ذكر الله وتعطيلها من ذلك. فجوزوا على ذلك بالإذلال والهوان.

وأما العذاب العظيم في الآخرة فهو العذاب بالنار. وهو إتلاف لهياكلهم وصورهم وتخريب لها بعد تخريب، كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودًا غيرها ليذوقوا العذاب. وهو مناسب للوصف الثاني وهو سعيهم في تخريب المساجد فجوزوا على ذلك بتخريب صورهم وتمزيقها بالعذاب. ولما كان الخزي الذي يلحقهم في الدنيا لا يتفاوتون فيه حكمًا سواء فسرته بقتل أو سبي للحربي، أو جزية للذمي لم يحتج إلى وصف. ولما كان العذاب متفاوتًا، أعني عذاب الكافر وعذاب المؤمن، وصف عذاب الكافر بالعظيم ليتميز من عذاب المؤمن».

وهذا كلام جيد. وإن كانت هناك آيات فيها وعيد للمؤمنين بالعذاب العظيم إن هم وقعوا في آثام بعينها. وهذا يعني أنهم مهددون بالعذاب نفسه. وأما العذاب العظيم فقد وصفه الله تعالى بما جرى مجرى النهاية في المبالغة؛ لأن الذين قدم ذكرهم وصفهم بأعظم الظلم فبين أنهم يستحقون العذاب العظيم.

المثال الثالث:

قال الله تعالى: «وَلَا يَحْزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظًّا فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (آل عمران: ١٧٦).

الإسراع في الشيء يقتضي جلالة ما سُورع فيه، وأنه من النفاسة والعظم بحيث يتسابق فيه. فختمت الآية بعظم العذاب، وهو جزاؤهم على المسارعة في الكفر إشعارًا بخساسة ما سابقوا فيه.

والآية تدل على أن النكرة في موضع النفي تعم، إذ لو لم يحصل العموم لم يحصل تهديد الكفار بهذه الآية. ثم قال تعالى: «وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ» (البقرة: ٧). وهذا كلام مبتدأ، والمعنى أنه كما لاحظ لهم ألبتة في منافع الآخرة، فلهم الحظ العظيم من مضار الآخرة.

وهو (عذاب عظيم) لا يقدر قدره. نقل عن بعضهم أنه لما دلت المسارعة في الشيء على عظيم شأنه وجلالة قدره عند المسارع، وصف عذابه بالعظم رعاية للمناسبة وتنبيهًا على حقارة ما سارعوا فيه وخساسته في نفسه. وقيل: لما دل قوله تعالى: «إِنَّهُمْ لَن يَضُرُّوا ٱللَّهَ شَيْـًٔا» (آل عمران: ١٧٦) على عظم قدر من قصدوا إضراره، وصف العذاب بالعظم إيذانًا بأن قصد إضرار العظيم أمر عظيم يترتب عليه العذاب العظيم.

وللحديث بقية إن شاء الله. والله ولي التوفيق.

«علم نافع لا يستغني عنها البيت المسلم»

التوحيد

التوحيد
وقفات شرعية مع أحداث الثورة المصرية
القرآن الكريم المصدر الأول للتشريع
نريد من الشعب تغيير النظام
الفتنة المقنعة
يا دعاة الأمة الزموا السنة على منهاج النبوة

يسر مجلة التوحيد الإعلان عن عودة خدمة الاشتراكات الخاصة بالأفراد والمؤسسات عن طريق البريد المصري، على أن يكون سعر الاشتراك السنوي للفرد (عدد نسخة واحدة من المجلة) ٤٥٠ جنيهاً عن السنة.

ويوجد تخفيض آخر في حالة وصول عدد الاشتراكات إلى ٨ نسخ على عنوان واحد يكون سعر الاشتراك للنسخة الواحدة ٢٠٠ جنيه فقط.

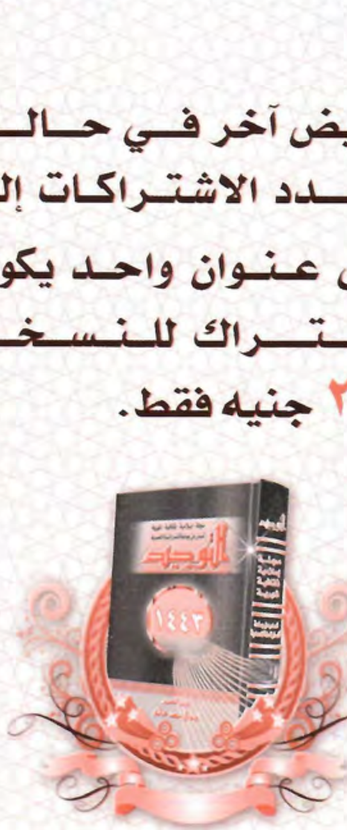
التوحيد
١٤٤٣

صدر حديثاً

المجلد الجديد

بمقر مجلة التوحيد

١٢٠٠ جنيه

سعر الكرتونة بدلاً من

~~١٥٠٠~~ جنيه

لفترة محدودة

التوحيد
مجلة إسلامية ثقافية شهرية
١٤٤٣
لعام ١٤٤٣ هـ

يوجد مجلدات السنوات القديمة

سعر المجلد ٢٥ جنيه

بدلاً من ٥٠ جنيه

حتي عام ١٤٣٩ هـ

سعر المجلد الجديد

١٠٠ جنيه

هدايا قيمة

لأول ١٠٠ مشتري

الآن أصبحت 51 مجلداً من الموسوعة

للحصول على المجلدات والكرتونة الاتصال على قسم التوزيع

☎ تليفون: ٠٢٢٣٩٣٦٥١٧